الجزء ٣ المجلد ٥



(دمشق) آذار سنة ١٩٢٥ م الموافق شعبان ورمضان سنة ١٣٤٣ ﻫ (٥١)

وصف مخطوط

نظم درة الغوّاص

كانت السنة الماضية سنة (١٩٢٤) أمثل سنة تيسر فيها لمجمعنا العلمي ان يشتري ويتّهب ويقتني من التحف والآثار والكتب المطبوعة والمخطوطة — اعلاقاً نفيسة وذخائر ثمينة . وقد كان في جملة المخطوطات التي اقتناها نسخة صغيرة الحجم لا تتجاوز اوراقها السبعين ورقة بالقطع الصغير المستطيل بعض الاستطالة . تقتحمها عين رائيها وتنبو عنها نفسه اول وهلة . حتى اذا تصفحها . ورأى حسن خطها . وجمال موضوعها تبعتها نفسه وحام حولها قلبه وقد كتب على ظهر هذه النسخة كلمتا (درة الغواص) وتحتهما جملة (لابن المتربض الحويذي) فظن مالك النسخة ان ابن المتربض هذا هو مؤلفها فكتب في اسفل الورقة ما نصه (درة الغوّاص لابن المتربض وهي محتوية على قواعد من نحو ومعاني وغيره وقد تملكه السيد احمد مؤيد عظم زاده سنة ١٢٤٢) اﻫ مع ان النسخة ليست (درة الغوّاص) المشهورة وانما هي (نظم درة الغوّاص) ومؤلفها ليس (ابن المتربض الحويذي) وانما هو شاعر مشهور كما سيجيء . وليست هي في قواعد النحو والمعاني وانما هي في كشف اوهام الخواص فيما يخطئون به من كلمات اللغة العربية والذي جعل مالك النسخة (عظم زاده) يحسب ان مؤلفها هو ابن المتربض انه رأى على ظهر الكتاب بيتين من الشعر قال كاتبهما انهما لابن المتربض وهما:

(وقالوا تركت الشعر لا عن ضرورةٍ ولم تخترع معنىً قديماً ولا بكرا)

(فقلت تجلّت بعض انوار حسنه على طور احشائي فأحرقت الفكرا)

واتفق ان كلمتي (لابن المتربض) كتبتا تحت كلمتي (درة الغوّاص) وتحتهما البيتان المذكوران فظن (عظم زاده) ان ابن المتربض هو المؤلف وذهل عن البيتين المراد نسبتهما اليه . ولا حاجة بنا الى البحث عن (ابن المتربض) من يكون ؟ وانما بحثنا يدور حول ثلاث مسائل (درة الغوّاص)و (ناظمها) مؤلف هذه النسخة . و (ناسخها) الذي كتبها بخطه .

(درة الغوّاص) أشهر من ان تعرّف وهي للحريري صاحب المقامات تتبع فيها نحو (٢٢٣) عثرة لغوية من عثرات خواص اهل زمنه . فاصلحها كما يتتبع المجمع العلمي اليوم عثرات كتاب زمنه . وقد ألف في تصحيح اغلاط الكتاب كثيرون غير الحريري لكنه لم يشتهر مصنف احد ويقبل الناس عليه كما اشتهرت (درة الغواص) . والذي ساعدها على هذا الاشتهار اختها (المقامات الحريرية) التي أحيت في العالم العربي كلمات اللغة الفصيحة ولم يشاركها في هذه المزية (حاشا القرآن والحديث)كتاب عربي . واما فمهما زهدنا في مقامات الحريري من حيث اسلوبها المسجع . لا ينبغي ان ننكر فضلها من حيث إذاعتها فصيح اللغة العربية والمختار من اساليبها وتعابيرها

(ناظم درة الغوّاص) لما أقبل طلاب الادب على مطالعة (درة الحريري) وحرصوا على الاستفادة منها كل الحرص رأى علماء اللغة الحاجة ماسة الى خدمتها (أي شرحها والتعليق عليها والتنبيه الى اغلاطها) . وأقدم من علّق عليها شروحا وحواشي من علماء اللغة (ابو محمد عبدالله بن برّي) المصريّ وكان سيبويه عصره . ولما مات الحريري سنة (٥١٦) كان ابن برّي هذا ناشئاً في السابعة عشرة من عمره . عاكفاً على تحصيل اللغة والأدب من اشياخ مصره . وكانت وفاته سنة (٥٨٢) اي بعد وفاة الحريري بنحو ست وستين سنة . ولم يقف ابن برّي موقف الشارح لآثار الحريري الخادم الامين عليها فقط . بل هو فوق ذلك نافح عن الحريري . وردّ سهام الاعتراض التي كانت توجه اليه : فان ابن الخشاب لمّا نقد (الدرة) و (المقامات) انبرى ابن برّي لتخطئته في قوله . وتصويب ما قاله الحريري وما قصّر في عمله . وأشهر من شرح الدرة من أدباء المتأخرين الشيخ الخفاجي المتوفى

سنة (١٠٦٩) هـ وقد طبع شرحه في الاستانة سنة (١٢٩٩) هـ .

ومن طرائق الخدمة التي خدمت بها درة الغواص طريقة ربما لم يعرفها احد من علماء الامم غير الامة الاسلامية : وهي ان يعمد المؤلف الى كتاب مشهور يتدارسه الطلاب كثيراً فينظمه شعراً من اوله الى آخره بالغاً ما بلغ من عدد الابيات ليسهل حفظه على الطلاب . وهكذا فعل بعض علماء اللغة في (درة الغواص) فنظمها ابو الفتوح عبد القادر ابن ابراهيم ابن العتبة المتوفى سنة (٩٠٧) هـ ثم شرح نظمه .

وكان سبقه الى نظمها (السراج الوراق) الشاعر والاديب المصري المشهور المتوفى سنة (٦٩٥) وهو صاحب القصائد والمقطعات الكثيرة في المعاني الشعرية المختلفة لا سيما التفنن في التورية باسمه (السراج) من ذلك قوله :

(بنيّ اقتدى بالكتاب العزيز وراح لبرّي سعياً وراجا)
(فما قال لي أفٍ مذ كان لي لكوني أباً ولكوني سراجا)

والنسخة المخطوطة التي نصفها الآن هي نظم درة الغواص (للسراج الوراق) المذكور . وينبغي ان تعدّ من أنفس الذخائر لندرتها وقلة نسخها . حتى ان من ترجم السراج الورّاق أو ذكر نظمه لدرة الغواص لم يكن يعلم انه هو صاحب هذا النظم في غالب الظن : فان ابن شاكر الكتبي في فوات الوفيات (جزء ٢ ص ١٠٧ طبع مصر) ترجم للسراج الورّاق ترجمة حسنة وذكر كثيراً من قصائده وشعره ولم يقل انه نظم درة الغواص وسماه هكذا (عمر بن محمد بن حسن سراج الدين الوراق)

وجاء غيره ممن ترجم له (كدائرة المعارف العربية جزء ٩ ص ٥٤٦) فحذوا حذو ابن شاكر واسهبوا في سرد نموذجات من اشعاره ولم يشيروا الى انه نظم الدرة . اما الذين دوّنوا تراجم المصنفين والمصنفات كصاحب (كشف الظنون) وكالسيوطي في (بغية الوعاة) فانهما اكتفيا بقولهما (عمر بن محمد بن الحسن الفائزي سراج الدين صنف ارجوزة نظم فيها درة الغواص) وزاد السيوطي في القابه (ابو حفص ابن بدر الدين السديدي ابي علي) لكنهما لم يذكرا بلده ولا في اي عصر عاش ولم يقولا انه هو الشاعر المشهور صاحب المقطعات الشعرية المتداولة في كتب الادب . فهل هما لم ينتبها الى أنه هو المراد ؟ وهل من المحتمل ان يكون سراج الدين الوراق

ناظم الدرة غير سراج الدين الوراق الشاعر المصري المشهور ؟ واري ان هذا بعيد بعد ان توارد الجميع على اسمه واسم ابيه ولقبه

والسراج الوراق في أرجوزته هذه لم يقتصر على نظم متن درة الحريري بل أتبعها بنظم تعاليق أو شروح (ابن برّي) عليها فجاءت ابياتها في نحو (١٨٠) بيت من الشعر الرجز السهل في عبارته . الواضح في بيانه واشارته . وحسب القارئ ان يعرف ان الناظم هو السراج الوراق الشاعر الرقيق . وهاك ما قاله في فاتحة الارجوزة

(بحمد ربي ذي الجلال ابتدي هادي الورى بالمصطفى محمدِ)

وقوله (هادي الورى) نعت لذي الجلال اي ان الناظم يبتدئ ارجوزته بحمد ذي الجلال الذي هدى الورى بمحمد صلى الله عليه وسلم .

ثم قال مخاطباً من اقترح عليه نظم الدرة :

(سألتَ نظمي درة الغواصِ فخذ جواب صادق الاخلاصِ)

(وتلوها مآخذ ابن برّي شيخ النحاة سيبويه مصرِ)

ثم بدأ بأول كلمة انتقدها الحريري وهي كلمة (سائر) بمعنى الباقي لا بمعنى الجميع فقال:

(فسائر جاء بمعنى الباقي على اختلافٍ فيه واتفاقِ)

وقد اراد بقوله (مآخذ ابن برّي) مواضع المؤاخذة التي كان يراها (ابن برّي) احيانا في كلام (الحريري) او ان مراده بالمآخذ الشواهد الشعرية التي كان يستند اليها (ابن بري) في تخطئة (الحريري) تارةً . وفي تأييده تارةً اخرى : فان ناظم الارجوزة كان يدمج هذه الشواهد ويشير اليها في صلب النظم . وهو فوق ذلك اذا رأى النظم ضاق عليه عدل عنه واخذ في نثر الكلام نثراً : فيذكر بيت الشاهد ويستوفي احياناً بعض مسائل من كلام الحريري في درته لم يكن الناظم ادخلها في النظم . وهاك هذا المثال من كلا الكتابين الدرة ونظمها

قال الحريري (ويقولون انساغ لي الشراب فهو منساغ والاختيار فيه ساغ فهو سائغ قال الشاعر :

(وساغ لي الشراب وكنت قدما أكاد أغص بالماء الحميمِ)

وفي القرآن الكريم (لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) ومن حكي انه سمع في بعض

اللغات (انساغ لي الشيء) فانه مما لا يعتد به ولا يعذر من يستعمله في الفاظه او كتبه انتهى قول الحريري . وقوله في بيت الشاهد (أكاد اغص بالماء الحميم) كأنه هو الحق في رواية البيت . والحميم هنا بمعنى الماء البارد . ويطلق على الماء الحار ايضاً فهو من الاضداد . والمشهور على لساننا في انشاد البيت (اكاد اغص بالماء الفرات) .

وقال الناظم سراج الدين الوراق جامعاً بين قول الحريري السابق وقول شارحه (ابن بري) في مؤاخذاته عليه :

(وقولهم انساغ لي الشرابُ   وهمٌ ولكن ساغ لي الصوابُ)
(وفي الكتاب وهو الحق المبين   وقد قرأت سائغاً للشاربين)
(ومنه بيتٌ جاء في الشعر القديم   آخره أغصُّ بالماء الحميم)

ثم ذكر الناظم ذلك البيت الذي ورد في الشعر القديم بنصه فقال — وهو فساغ لي الشراب الخ ثم عاد فقال :

(قال ابن بري ساغ وانساغ ورد   مطاوعاً من الثلاثي ورد)
(وابن دريد الحبر قد أوما لها   بقوله فانساغ عذباً في اللهى)

يعني ان ابن دريد استعمل في مقصورته المشهورة كلمة (انساغ) ومثله من يحتج به . ويوثق بقوله . وشعر المقصورة الذي وردت فيه (انساغ) هو قوله :

(والناس كالنبت فمنه رائق   غضٌّ نضير عوده مرُّ الجنى)
(ومنه ما تقتحم العين وان   ذقت جناه انساغ عذباً في اللهى)

وقد قلنا آنفاً إن السراج الوراق علّق شروحاً على بعض ابيات ارجوزته . لكنها شروح قليلة اللفظ كثيرة المعنى لا تخرج عن كونها تعاليق وهوامش . ثم ختم ارجوزته بقوله :

(قد انقضت فوائد البصريِّ   قرينها فوائد المصريِّ)

يريد بالبصريّ الحريري وبالمصري ابن برّي .

(شيخنا البلاد ابوا محمدِ   نظمتها كالعقد للمقلّدِ)
(ليسهل الحفظ على الطلابِ   ويخرج القول عن الاسهابِ)
(واسأل الرحمن أن ينفعنا   بما قصدناه وأن يرحمنا) الخ

(ناسخ هذه الارجوزة) لم يكتف ناسخها بنسخها والسكوت على آخرها بل هو لما كان شاعراً ظريفاً ولم يقل شهرة في زمنه عن ناظمها (السراج الوراق) في عصره ختمها من نظمه بقوله :

(نسخُ المرجّي عفو ذي الجلال ِ محمد بن الصالحي الهلالي)
(وتمّ في ارض دمشق الشام ِ مَشقاً على الطروس بالاقلام ِ)
(وقد مضى من هجرة التهامي ألفٌ سوى عشرين من اعوام ِ)

يعني انه كتبها سنة (٩٨٠) ه وقوله (مشقاً) يريد به مدّ حروف الخط أو الاسراع فيه . ولم نكن لنُعْنى بذكر ناسخها لولا انه من رجال الفضل والادب في ذلك العصر وخطه في هذه الارجوزة ، غاية في الحسن والجودة ، على طريقة الخط الفارسي الصغير الحروف ولا عجب فان الصالحي هذا كان احد الموقّعين للاحكام في المحكمة الكبرى بدمشق ولا يختار لمثل هذا العمل الا من كان مبرّزاً فيه متقناً له . ذكر ذلك المحبي في ترجمته (راجع خلاصة الأثر جزء ٤ ص ٣٤) وكذلك الخفاجي في ريحانته فانه ترجم له واشار الى حسن خطه فقال : (وخط تسر به النفوس . وتوشى بديباجته الطروس)

(خط زهت أزهاره والروض ينبته السحاب)

وقد توفي الصالحي المذكور سنة (١٠٠٤) ودفن في تربة الفراديس بدمشق

هذه هي مخطوطة الارجوزة النفيسة التي يكفي المتأدب اذا درسها أو استظهرها ان يكون ، قد استوعب فوائد درة الغواص منقحة من الشوائب والمآخذات التي نبه اليها (ابن بري) وما أجزلها فائدة

المغربي



عثرات الاقلام

٣٦

ومنها قولهم (تأكل صدره الحسد) صوابه أكل صدره الحسد أي أفناه . كما يقال أكلت النار الحطب وهو مجاز ويصح ان يقال تأكل صدره حسداً اي اكل بعضه بعضاً او توهج او توقد لاجل الحسد .

ومنها قولهم (سهى الوكيل عن عمله) صوابه سها الوكيل بالألف لا بالياء لان هذا الفعل واوي بدليل ان مضارعه يسهو ومصدره السهو

ومنها قولهم (رأى أن يوكل عمله لابنه) صوابه يكل بحذف الواو لانه مضارع وكل الثلاثي أي يسلم و يترك و يفوّض . اما اذا كان المراد في الجملة التوكيل فالصواب أن يقال : رأى ان يوكل ابنه بالعمل اي يجعله وكيلاً

ومنها قولهم (فوقف وأحنى هامه امام اخيه) صوابه وحنى هامته بتجريد الفعل من الهمزة . وافراد الاسم لان الاحناء لم يرد في اللغة بمعنى الحني . والهام جمع لا مفرد . قال في القاموس : الهامة رأس كل شيء جمعه هام وهامات . ولا يمكن ان يكون للانسان غير رأس واحد .

ومنها قولهم (استغرط في الضحك) صوابه استغرق أو أغرب في الضحك . اما الاستغراط فلم يرد استعماله في الضحك . وانما ورد في البكاء يقال استغرط في البكاء اذا جدّ فيه واشتد بكاؤه

ومنها قولهم (تجلّد الماء لشدة البرد) صوابه جمد الماء . اما تجلّد فمعناه تكلّف الجلادة اي الشدة والقوة والصبر على الامور

ومنها قولهم (لبس ثوباً لونه اخضر غامق) صوابه اخضر ناضر . او اخضر حانئ . اما الغامق فلفظة عامية

ومنها قولهم (التبكت المرأة وزادها التباكها جمالاً) صوابه ارتبكت او تحيرت اما الالتباك فمعناه الاختلاط يقال التبك الامر اي اختلط

ومنها قولهم (الكتاب المرسول اليكم) صوابه المرسل وهو اسم مفعول من ارسل

الرباعي . اما رسل المجرد فلم يستعمل

ومنها قولهم (اكتب اليكم ما أتخطّره الآن) صوابه ما اتذكره اما التخطّر فلم يرد بهذا المعنى . قال في القاموس : تخطّره تخطّاه وجازه . وهو يتخطّر الينا اي يأتينا المرة بعد المرة

ومنها قولهم (حتى لا ينطلي عملهم الفاسد على البسطاء) صوابه لا يروج عملهم او لا يجوز . اما الانطلاء فلم يرد في اللغة . وقد نبهنا على هذا الخطإ سابقاً .

ومنها قولهم (فما راق ذلك اليه) صوابه فما راقه ذلك : لان هذا الفعل يتعدى بنفسه

ومنها قولهم « اتفق المسلمون على الخط الحجازي عرق القربى وقناطير الذهب » . « عرق القربة » مثل والامثال لا تغير فيقال « لقيت منه عرق القربة » اي شدة ومشقة فلا يصح ان يقال « اتفق عرق القربة » كما لا يصح ان يقال « عرق القربى » بالالف المقصورة في آخره ولعل زيادة الالف غلط مطبعي

ومنها قولهم « وقد اقام في كلتي البلدين » صوابه « في كلا البلدين » لأن البلد مذكر ، ولأن « كلا » و « كلتا » انما يعربان اعراب المثنى اذا كانتا مضافتين الى ضمير فيقال « جاء كلاهما » « ورايت كليهما » « وجاءت كلتاهما ورايت كلتيهما » اما اذا اضيفتا الى اسم ظاهر كما في هذه الجملة فتعربان اعراب المقصور فيقال « مررت بكلتا المرأتين » كما يقال « مررت بمغنى المرأتين »



ديوان الزهاوي

نشر السيد جميل صدقي الزهاوي فيما سلف من الايام جملة صالحة من شعره · ثم احب ان يطرف الادب العربي بمثال جديد من الشعر العصري ويضيف الى تلك السلسلة البديعة حلقة جديدة فنشر في هذه السنة طائفة مختارة من شعره سماها ديوان الزهاوي · وهي بما اشتملت عليه من حسن الديباجة ورقة الاسلوب والاجادة في ابتكار المعاني والاغراض آية في الابداع وغاية في البلاغة · ولم يذهب السيد الزهاوي في شعره هذا مذهب المتأخرين ولا التزم ما التزموه في اشعارهم من تعمد ايراد الصناعات البديعية وافتتاح القصيد بضرب من النسيب على نحو ما كان عليه الشعر في عهده الاخير: عهد انحطاطه وتأخره : وانما احتذى فيه مثال الحكماء من الشعراء المتقدمين · ومشى فيه مع العصر الحاضر واعتاض عن وصف القدود والخدود والخصور والنحور بوصف الكواكب والسيارات وما في الافلاك · والبحث عن القوة والمادة والجاذبية والأثير وما اودعته الطبيعة هذا العالم من المواهب والاسرار والحكم فجاء شعره سهلاً رائعاً بعيداً عن التعمل خلواً من كل تكلف تمجه الاذواق وتنفر منه الطباع · ولقد وصف الشعر باوصاف كان فيها نسيج وحده من ذلك قوله :

اری الشعر بعد الوحي اكرم هابط　　من الملاءِ الأعلى إلى الملاءِ الأدنى

وقوله: الشعر للروح مثل القوت للبدنِ　　وانه زينة الاقوام والمدنِ

وقوله: احسن الشعر ما يكون عن القلب　　والآمه لنا ترجمانا

وقوله: بل الشعر معنى رائق بوقظ الهوى　　ولفظ رقيق مثلما يطلب الفن

وقوله: الشعر صوت الروح قد ذاق الاذى　　وانين مجروح من الآلام

وقد افتتح ديوانه هذا بمقدمة أفاض فيها في بيان نزعته في الشعر وما يراه سائغاً للشاعر وغير سائغ ثم قفّى على آثار ذلك بكثير من الفوائد المتعلقة بالشعر والشاعر والنقد وما والى ذلك مما يجدر بكل اديب نزاع الى الجديد ان يقتطف من ثماره اليانعة منها قوله : الشعر ما ينظمه الشاعر من احساس يجيش في نفسه باوزان موسيقية فيهز به السامع

اذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً ان يقال له شعرُ

ومنها قوله : ولا ارى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد ، حرّ لا يتقيد بالسلاسل والاغلال

ومنها قوله : وانزع ان أمشي بشعري في سبيل الحياة الطبيعية متجنباً المبالغات وكل ماليس حقيقة .

ومنها قوله : وقد جردته ما استطعت من الصناعات اللفظية والخيالات الباطلة وحرصت على ان يكون منطبقاً على الواقع خلواً من الاغراق ماشياً مع العصر .

ومنها قوله : ولا ارى مانعاً من تغيير القافية بعد كل بضعة ابيات من القصيدة عند الانتقال من فصل الى آخر .

ومنها قوله : واجيز للشاعر ان ينظم على أي وزن شاء : سواء كان من اوزان الخليل او غيره . الخ

وفيما ذكره تتمثل نزعته في الشعر ومنهجه الذي ارتضاه فيه ويظهر ذلك جلياً في كثير من شعره . ولكنه على شدة حرصه على الاحتفاظ بهذه النزعة لم يخل في كثير من المواطن مما يخالفها فان قصيدة مشهد السماء المذكورة في صفحة ١٣٥ التي وصف فيها المجرة وذكر كثيراً من اسماء النجوم والبروج والسيارات وذوات الاذناب والشهب وسير كوكب الشمس ومعرفة عناصر النجوم الخ على ما فيها من الفوائد الجليلة هي باراجيز العلماء : اشبه منها باحساس ينظمه الشاعر فيهز به السامع . وفيها كثير من المبالغات والخيالات التي لا تنطبق على الواقع كقوله فيها :

ومماكين رامح يطعن الليل — دراكا واعزل في اللقاء
ويل اهل السماء من عقرب جا — ءت اليهم تدب في الظلماء
قد رأيت السماك يطعن بالرمح — جيوش الظلماء في الاحشاء

وكذلك قوله :

فاقمن من اسف عليها مأتماً فتئن فيه مرارة الانسان
وقوله : فما ناظرٌ الاّ بربق صواعق ولا سامع الاّ هزيم المدافع
وقوله : اخالك لا شمس الضحى في نهاره تضيء ولا في ليله الانجم الزهرُ
وقوله : ويا لك من ليل يروع كانما بكل مكان منه يرقب غولُ

الى غير ذلك فان هذا واشباهه لم يخل من المبالغات والخيال ولو كان خلواً منهما مقتصراً على الحقيقة لكان جافا سمجا : لأن الشعر كلما كثر فيه الخيال كان اوقع في النفس والذ على السمع وهذا ما حدا بكثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين على ان يجعلوا الشعر كل ما تضمن خيالا وان لم يكن موزونا ولو جاز ان لا يكون للشعر قواعد لافضى ذلك الى انتشار الفوضى فيه وساغ لكل احد أن يجعل الشعر ما شاء وشاء له الهوى . الا ان يقصد السيد الزهاوي بالقواعد العروض وما يتبعه وذلك ما لا يقدح في جوهر الشعر .

وهذا الديوان على ما فيه من الاجادة والبراعة والعناية في التنقيح والضبط لم يسلم من استعمال الفاظ في معانٍ لا تساعد عليها نصوص اللغة . وكلمات اعجمية في فصيح اللغة ما يغني عنها . وخطإٍ في الطبع والتأليف الضعيف والمناقضة في الامر الواحد وموافقة المتقدمين في المعنى

ومن الاول قوله ص ١ التقاليد التي ورثتها الابناء . والتقاليد لم يرد بهذا المعنى وعلى تقدير وروده لا يصح جمعه الا سماعاً لانه مصدر . وقوله في ص ٦ الى ان تسمح الظروف وقد اعادها في ص ٧ و ٦٢ وغيرهما

وقوله صحيفة ٥

ان الربيع كثيرة اوراده   فاذا انقضى لم يبق من اوراده

ولم يرد جمع الورد على اوراد . وقوله ص ١١ (فهل سأخطر يوما اذا خطرت فبالك) ادخل فيه هل على السين وكلاهما للاستقبال وقوله ص ٢٣ ونعيش في حالة التعاسة بالاماني الكواذب . واعاد التعاسة في ص ٨٤ وهي غير منقولة . وقوله ص ٤١ العقد منفرط بايدي عابث . ولم يرد الانفراط بهذا المعنى وقوله ص ٦٢ قد آلموني بالقذائف والشتوم . والشتوم لم تسمع . وقوله ص ٦٣ يجد المواضيع الكبيرة . ولم تسمع المواضيع وقوله في صفحة ٨٩ وهب ان لي ذاك الدليل . واستعمال ان بعد هب غير وارد أو قليل جداً . وقوله صفحة ٩٧ أنهكه السل والسهاد . وانما يقال نهكه المرض وقوله صفحة ٢٧١ فكانما انت الوريث . والفاعل من ورث وارث وقوله في صفحة ٢٨١ طالت الى سورية يد عسفهم . وسورية مخففة كما في القاموس . ومن الثاني قوله صفحة

٨١ ولكنني لما تهيأت صدني عن السير بوليس ورائي بهرع وقد اعادها غير مرة ولفظ الشرطي يغني عنها وزناً ومعنىً . وقوله امكروب داء السل الخ في صفحة ٨٢

ومن الثالث قوله صفحة ١٣٧ اهل يعين الشعري الغميضا: وصوابها بالصاد . قوله صفحة ٢٦٩

ان للشعب والسياسة طب مثلما للافراد منه مزاجا

والصواب طبا . وقوله صفحة ١٣١

حمائم كلا رمن اقترابا من الارض ارتفعن الى المساء

والصواب السما :

وقوله فيها: فطرن وكونهن بها اضطراراً فطرن من الصباح الى السما :

والصواب المساء

ومن الرابع قوله :

لم تطأطىء الى الشهادة رأسا فهي منها لها عليها دليل

في صفحة ٢٧٧ وقوله صفحة ٣١٠

زوجوها من غير ما هي ترضى من غلام غمر اخي سيئات

ومن الخامس قوله

كل شيء فانيه يتلاشى يتلاشى الازمان الا الاثيرُ

وقوله : ولم تكن الاشياء تفنى وانما الى صورة من صورة تتغيرُ

وقوله : كل شيء مع الجديدين يفنى ثم يبقى جلال ربي تعالى

وقوله : ليس للعالم الذي نحن نحيى ضمنه من بداية وانتهاء

ظنه الناس للفناء واني مع نقصي حسبته للبقاء

ليس يفنى فيما علمت من الاشياء -- الا ظواهر الاشياء

ومن الخامس قوله السابق ظنه الناس للفناء الخ فقد وافق فيه ابا العلاء المعري في قوله :

خلق الناس للبقاء فضلت امة يحسبونها للنفاد

وقوله صفحة ٨٤

فيا موت زر ان الحياة تعاسة ويا نفس جودي ان دهرك يخلُ

وافق فيه قول المعري :

فيا موت زر ان الحياة ذميمة و يا نفس جدي ان دهرك هازلُ

وقوله صفحة ٣٤٣ واني لتعروني من الشعر هزة الخ

وافق فيه قول الشاعر :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطرُ

وقوله صفحة ٣٨٣:

ان للعالم الذي نحن جزء منه كونا مصيره للفساد

وافق فيه قول المعري :

واللبيب اللبيب من ليس يغتر بكونٍ مصيره للفساد

وقوله : علّ ما يخشى من تراب علينا بعض اجدادنا بكف الحاثي

وافق فيه قول المعري :

خفف الوطء ما اظن اديم الا — رض الا من هذه الاجساد

وقبيح بنا وان قدم العهـد هوان الاباء والاجـداد

وقوله صفحة ٢٤ يطفئ الموت ما تضيء الحياة · وافق فيه قول المعري :

ارى قبسا في الجسم يطفئه الردى وما دمت حياً فهو ذا يتلهبُ

الى غير هذا مما لا يسلم من مثله كتاب ولم يكن ما ذكرناه لينقد هذا الشعر الفائق روعة الابداع او لينزع عنه حلة الاجادة فان فيه من مقلدات الشعر ما لا تطول اليه ايدي كثير من شعراء العصر · ولا لنبخس هذا الشاعر المفيق حقه من التفويق فانه نابغة العراق في الشعر وحكيمها غير مدافع · وقد اردنا ان نسترعي انتباهه الى تدارك ما وقع فيه في الطبعة الثانية ونحن نتمنى أن ينبغ في الامة العربية عدد كبير من امثال السيد الزهاوي ليردوا اليها سالف مجدها و يعيدوها سيرتها الاولى وما ذلك على الله بعزيز

سليم الجندي

الانشاء والمنشئون

(تتمة ما سبق في العدد الماضي ص ٨٠)

وعلى ذكر الجغرافية يجب ان يعد في جملة الادب الجيد ما كتبه ياقوت الحموي فان « معجم البلدان » « ومعجم الادباء » من انفس ما كتب الكاتبون في هذا القرن كما ان ما كتبه القفطي (٦٤٦) في « اخبار الحكماء » وما كتبه ابن ابي اصيبعة (٦٦٨) في « طبقات الاطباء » يعد من الادب العالي في تراجم الناس . ومن هذه الكتب الاربعة التي طبعها المستشرقون استفدنا اموراً كثيرة في الحضارة العربية لم نكن نعرفها من قبل كما استفدنا اي استفادة من نشرهم لنا (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبري « ومروج الذهب » للمسعودي و « الكامل » لابن الاثير و « تاريخ اليعقوبي » و « تاريخ سني ملوك الارض والانبياء » لحمزة الاصفهاني و « الفخري » لابن الطقطقي و « البدء والتاريخ » لمطهر بن طاهر المقدسي وغير ذلك من تواريخ الاولين وكذلك استفدنا من نحو خمسة عشر مجلداً لجغرافيي العرب طبعوها فعلمونا بها تاريخ بلادنا الاقتصادي والعمراني واشياء مهمة لم نكن نحلم بوجودها وكثر بها رأس مالنا من الفصيح والتعابير العلمية

ومن كتاب القرن الثامن في مصر والشام ابن فضل الله العمري صاحب (مسالك الابصار) و (التعريف بالمصطلح الشريف) والصلاح الصفدي (٧٦٤) صاحب (الوافي بالوفيات) و (تحفة ذوي الالباب) و (نكت الهميان) و (جنان الجناس) و (دمعة الباكي) والشهاب محمود الحلبي صاحب (حسن التوسل في معرفة صناعة الترسل) وعلاء الدين بن غانم واحمد الانصاري وابن القيسراني وكمال الدين الزملكاني . ونبغ في الاندلس لسان الدين بن الخطيب ولو لم يكن له الا (الاحاطة في اخبار غرناطة) لكفى في تفوقه في كتابته وشعره فانه صور وترجم لهم كأنك تراهم فهو كاتب ومصور على ما يظهر . ونفح الطيب للمقري يحوي طرفاً صالحاً من نظم لسان الدين ونثره مع زمرة من رجالات الاندلس . وقد حل لسان الدين بعض القيود في الكتابة هو وصاحبه ابن خلدون (٨٠٨) وكان الكتاب قبلهما ولا سيما في القرنين

السادس والسابع يقلد بعضهم بعضاً فاصبحت الصناعة تسير نحو التقليد لا إبداع فيها ولا تجديد . فالمجددون في الحقيقة في القرن التاسع هما عبدالرحمن بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب . ولم تكن تكتب العلوم الاجتماعية والتاريخية قبل ابن خلدون بمثل ذاك اللسان الذي استعمله . ولا غرو فهو وصاحبه حسنة من حسنات الاندلس ، وزهرتان ناضرتان من الزهور التي اهداها المغرب للمشرق وبهما ختم عهد الاندلس

***

كانت دواوين الانشاء في قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق و بغداد وغيرها من مراكز الحكومات في القرون الوسطى مدارس لتعلم الانشاء . والاخذ من فن الادب العربي الواسع فلما انحلت دولة الاندلس ، واستولى الترك العثمانيون على مصر والشام والعراق بطل التناغي بالادب والانشاء لان التميز في هذا الشأن اصبح لا يجدي صاحبه شيئاً ، وغدا فن الانشاء مقصوراً على بعض افراد في كل قطر عربي يستخدمونه حلية وزينة ، واذ لم يبق في الحكومات من يقدر الادب قدره ، ضعف بحكم الطبيعة ، وزاد عدد الشعراء اكثر من الكتاب لسهولة الشعر ، وامكان الانتفاع به في المديح . وان كان الشعراء في كل دور من ادوار العرب فيما رأينا اكثر من الكتاب بما لا يقاس

طالع كتاب «عجائب المقدور» في اخبار تيمور المسجع المجنس و« فاكهة الخلفاء» وكلاهما لابن عربشاه من اهل القرن التاسع وتأملهما وتأمل « تاريخ العتبي » وسجعه تجد حتى في السجع فروقا واي فروق . وطالع « مقامات السيوطي » و « مقامات ابن الوردي » وعارضها بمقامات الحريري وبديع الزمان يتجلّ لك الفرق بين النمط العالي على ما يقال فيه والذي دونه بمراحل . واقرأ «ريحانة الالباء » للشهاب الخفاجي ، وطالع سجعه ، الذي هو ارقى سجع في القرن العاشر ، تجد بينه و بين نثر ابن بسام في « الذخيرة » وابن خاقان في « قلائد العقيان » فرقا بيناً أيضاً ، كما أنك قلما تجد في الادباء الذين ترجم لهم الخفاجي وكانوا تقدموه وعاصروه في الشام ومصر والحجاز واليمن والمغرب الاشاعراً . والكتاب قلائل . والادب العربي كاد يستحيل الى أماديح وأكثره للتزلف من الكبراء وهو ضيق العطن ،

مبتذل الديباجة ، فللنثر اسجاع، تشق على الاسماع ، وللنظم قواف لا تألفها الطباع والروح منقولة، والالفاظ من جنس المبتذل مدخولة، ومعظم المنشئين والمتأدبين يكتبون نمطاً واحداً من عهد ابي اسحق الصابي واحمد بن يوسف الى عهد لسان الدين ابن الخطيب وابن خلدون وهما اللذان أثبتا ان للمعاني تأثيراً اعظم من تأثير الالفاظ فأتيا بالجديد المبتدع ، وخلص كلامهما من المصنع الغث ، وسارا مع الطبع في التأليف والوضع

وفي القرن التاسع نشأ القلقشندي (٨٢١) صاحب « صبح الاعشى » وكتابته من السجع على الطريقة الفاضلية المتناسبة مع زمنه ، وقد جمع في كتابه نموذجات من انشاء العصور السالفة الى عصره ، فكان كتابه معلمة (انسيكلوبذيا) للمنشئين كما كان كتاب (نهاية الارب للنويري) . واهل البصر بعيوب الكلام يفضلون على القلقشندي المؤرخ المقريزي و جلال الدين السيوطي . ومن كتاب القرن التاسع محمد بن ابي بكر المخزومي ومحمد بن عبد الدائم وابن حجة الحموي (٨٣٧) وكتابا (خزانة الادب) و (ثمرات الاوراق)لابن حجة مثال التكلف ، ومن اقتصر في درسه عليهماتخدشت فيه ملكة البيان لا محالة

والقرن الحادي عشر مبدأ قرون الظلمات في الكتابات فان (نفحة الريحانة) للمحبي صاحب (خلاصة الاثر)في اعيان القرن الحادي عشر نموذج من نثر ذاك العصر، ومن ترجم لهم من الادباء واكثرهم ممن ترجمهم في(خلاصة الاثر)عنوان اهل جيله وكذلك يقال في (سلافة العصر) لابن معصوم من اهل ذاك القرن فان سجعه متكلف ، ومن ترجمهم وليسوا من الكتاب قل فيهم النبوغ ، وغاية جادة المجيد منهم ان ينظم قصيدة غزلية تقع موقع القبول من بعض القلوب ، او قصيدة يتكسب بها من ارباب المظاهر ، او يؤلف كلمات مسجوعة متشاكلة هي والشعر ،ومثل ذلك يقال في كلام الحسن البوريني « ١٠٢٤ » في تراجم الاعيان فانه من هذا البحر والقافية . وكان في اوائل هذا القرن رجل استفاضت شهرته لانه جمع علوما كثيرة وكان اديباً بارعاً وهو بهاء الدين العاملي «١٠٠٣» صاحب «الكشكول » و «المخلاة » و« اسرار البلاغة »فانه كان زينة عصره في الادب متفنناً في تنويع موضوعاته

وما قيل في المحبي وابن معصوم والبوريني يقال في الغزي مترجم اهل القرن الحادي عشر والمرادي مترجم علماء القرن الثاني عشر وما اورد هذا لهم من الشعر والنثر في كتاب (سلك الدرر) وبعضه اثقل من رضوى وابرد من عضرس واين هو من السخاوي في (الضوء اللامع لاهل القرن التاسع) ومثل هذا قل في كتاب اهل القرن الثالث عشر مثل سجع البربير (١٢٢٦) في (مقاماته) وابن شاشو في (تراجم اعيان دمشق) فانه غاية ما وصلت اليه الكتابة من الابتذال والسجع الثقيل على الطبع . ولكن هذا القرن تجلت في اواخر نصفه الاول حركة تجدد فاختلط اهل مصر والشام بأهل الغرب ولا سيما مع علماء فرنسا وتخرج بعض ابناء القطرين في جامعاتها ، فأخذت المترجمات في العلوم المختلفة على عهد محمد علي مؤسس الدولة العلوية المباركة تؤثر تأثيرها المطلوب في روح الكتابة ، واخذوا طرفاً من آداب الغربيين ولا سيما الفرنسيين نقلوه الى العربية نقلاً ضعيفاً ركيكاً وايقن الدارسون من ابناء مصر والشام ان الآداب العربية خلت في أرقى عصورها من التمثيل وان لم تخلُ من القصص والروايات والحكايات التاريخية والادبية ، ولكن على صورة مصغرة

ومن المجددين الذين ختم بهم القرن الماضي احمد فارس الشدياق اللبناني فانه اقام سنين طويلة في انجلترا وفرنسا ومالطة والاستانة ونقل للعرب طريقة جديدة في تآليفه ، وترك اثراً جميلاً من نبوغه وتفننه في اساليبه . وفي كتابه (الساق على الساق) و (الواسطة في معرفة احوال مالطه) ومقالاته العلمية في جريدة الجوائب التي جمعت في (كنز الرغائب) و (الجاسوس على القاموس) و (سر الليال) يتجلى للناقد البصير كيف قلب الافكار ، وأتى العرب بنمط مبتكر في التفكر والبحث ، وفهم الادب على غير ما فهمه اهل عصره ، ومن سلفه من الاعصار

وممن كان في النصف الثاني من القرن الماضي في مصر وعدّ امام النهضة الحديثة رفاعة بك الطهطاوي (١٢٩٠) فانه ترجم وألف كثيراً و به تخرج عشرات من رجال مصر ، وكان السجع يغلب عليه . ومن أدبائهم عبدالله فكري باشا وهو ملتزم السجع ، ولكنه السجع القصير البعيد عن التكلف في الجملة ، وكذلك علي مبارك باشا (١٣١١) واهم الرجال الذين ادخلوا الانشاء في طور جديد ، وحلوه من قيوده

الثقيلة التي رسف فيها قروناً ، الشيخ محمد عبده المصري (١٣٢٢) فانه كان خطيباً مصقعاً وكاتباً بليغاً ، ولم يعهد لرجال الدين كاتب مثله في القرون الاخيرة ، فكان كما قيل فيه يكتب الشريعة بلسان صاحبها ، تشهد له بذلك (رسالة التوحيد) و (الاسلام والنصرانية) و (رحلته الى ايطاليا) و (درس تفسيره) وقد تخرج به كثيرون من رجال مصر الحديثة ، كما تخرج بصديقه الشيخ طاهر الجزائري الدمشقي كثير من رجال النهضة في الشام ، فان هذا ايضاً خلع الثوب القديم البالي في الانشاء بعد ان لبسه في اول عهده واخذ يسير مع الطبع ، تاركاً للجناسات وانواع البديع جانباً ، تشهد له الكتب الكثيرة التي ألفها في الشريعة والطبيعة واللغة والآداب ونشأ في الشام كتاب عصريون منذ خمسين سنة ومعظمهم ممن تشبعوا باللغات الافرنجية والمبدع منهم قليل ، ولا نذكر انه نشأ في الشام على عهدها الاخير كاتب مثل ابراهيم المويلحي المصري في ابداعه ولا سيما الجد في قالب الهزل وكان يقلد الجاحظ في سرد الحقائق على اسلوب الريالبست ، ونشأ في الانشاء في الشام أمثال ابراهيم اليازجي وابراهيم المصور وشكيب ارسلان ويعقوب صروف وغيرهم من المجودين وفي مصر امثال حفني ناصف وقاسم امين وابراهيم اللقاني واحمد سمير واضرابهم من الاحياء والاموات في الاقطار العربية ولو كتب لبعض الكتاب المشهورين في الشام والعراق ان يحذقوا أدب الغرب كما حذقوا أدب العرب لخدموا الادب كثيراً بيد ان الاجادة المتناهية قليلة ، وعيوب الانشاء تبدو اكثر من عيوب الشعر وفي الثاني يغتفر ما لا يغتفر في الاول ، فقد قال لابرويير : أربعة لا يطاق فيها الاعتدال الشعر والموسيقى والخطابة والتصوير

الى اليوم على كثرة اختلاط مصر والشام وتونس والجزائر بادباء الغرب واخذهم عنهم لم يكتب للغة العربية اقتباس التمثيل كما هو الحال في الغرب وذلك لان التمثيل عارض في المدنية العربية ، وايجاد المفقود أصعب من اصلاح الموجود ولكن الخروج بالكتابة عن روحها العتيقة مع الباسها الحلة العربية القديمة التي كانت لها في القرنين الثاني والثالث مثلاً والرغبة في القصص والنوادر آخذة بالترقي ، ومعظم قصصنا ونوادرنا ورواياتنا التشخيصية محتذاة من الافرنجية او منقولة عنها بالحرف ،

وهذا من أبشع ضروب الاقتباس ، ولعله لا يطول الامر حتى ينشأ للامة العربيـة روائيون وقصصيون وكتاب فاجعات ومآسٍ على الصورة التي جرت عليها أمم الحضارة الحديثة فيعود ارباب الاقلام الى الابداع والاختراع ويسير المنشئون بروح الامة يعالجونها بما يوائمها. فما ينفع من ادب الغرب قد لا ينفع ولا يلتئم مع حالة ابن المشرق

***

اكتب هذا بمناسبة سفر بديع ظهر حديثاً (١) في عالم الادب العربي فادخل السرور على قلوب انصار التجدد وأعني به كتاب « مطالعات في الكتب والحياة » لكاتب من افذاذ الكتاب بمصر الاستاذ العقاد ومؤلفه بحاثة نقادة في الادب والشعر على مثال أدباء الغرب . نشر قبل سنين كتاب (الفصول) فأجاد والآن جاء يعبد واهل حلقته ، تلك الطريقة وينشر على الادب جملة فضله الرائع ، الذي جمع فيه بين اجمل القديم وانفع الحديث . ومن حسنت ملكته وصحت قريحتـه كان جديراً بان يختار الاطايب في كل ما يعرض له

تقرأ الاستاذ العقاد فتظنك تقرأ نقاداً من نقاد فرنسا أمثال : فاجيه ، ولمتر وبيدو ، وبريسون ولكن بديباجة عربية تشبه اللغة يوم عزها ، ويدهشك بسلامة ذوقه ، وسلاسة تعبيره ، ورصف جمله ، ورنة تراكيبه ، وقلما يكتب ذلك الا لافراد في كل عصر ، فقد كانت الطبقة السابقة التي حاولت ادخال هذه الطريقة في اللغة الى جانب القصور ، لضعف ملكاتها من اللغة التي حاولت تبديل قيافتها ، وكثيراً ما كانت ضعيفة ايضاً في اللغة التي حاولت الاخذ عن بنيها ، تفهم الالفاظ ولكنها عن المعاني بمعزل . بيد ان هذا النابغة رزق السعادتين ، فاتقن الادب الافرنجي اتقانه للعربي ، وجاء منه جهبذ بحاثة ، ذو اسلوب مبتكر لا ينكره المنصفون من الغالين بتمجيد القديم ، ويغتبط به المجددون أية غبطة

منذ اكثر من خمس وعشرين سنة وانا انظر في الكتب العصرية التي تخرجها

---

(١) « مطالعات في الكتب والحياة » للاستاذ عباس محمود العقاد طبع بالمطبعة التجارية الكبرى في مصر سنة ١٣٤٣—١٩٢٤ ص ٣١٠

المطابع العربية في الشرق والغرب ، فلم اكد اقرأ كتاباً في الادب المعاصر تأليفاً كان ام ترجمة الآ وتتراءى لي كثرة تقريظه في تأليفه ، وقلما رأيت إبداعاً الاّ في بعض التآليف أمثال « حديث عيسى بن هشام» للمويلحي الصغير و(النظرات) و (العبرات) للمنفلوطي و (ليالي سطيح) لحافظ وبضعة كتب اخرى ليست على خاطري . رجوت لها الخلود ، وباقيها ومنه المسجع او الممسوخ او المسلوخ او المنسوخ لا استحي ان اقول انها لتساقط كما يتساقط ورق الشجر في الخريف ، وتضيع كما تضيع مقالات الصحف اليومية بعد صدورها بساعات معدودة

لم يبرح النزاع عندنا بين انصار الجديد والقديم على أشده ، ولكن التطور يعمل عمله ، رغم احتجاج المحتجين ، وصياح الصائحين ، والانتقال محسوس في الادب ، كما هو محسوس في كل اطوار الحياة عندنا ، وانت اليوم اذا قرأت صفحة من (مقامات اليازجي) او رسالة من (رسائل الاحدب)أو جملا من مصطفى نجيب وحمزة فتح الله على تلميذ شدا شيئاً من الادب يضحك مما تسمعه ، ويقول لك هـذا كلام يضعف اللغة ويذهب ببهجتها والفاظه اكثر من معانيه . ولكنك اذا تلوت عليه صفحات من السيد العقاد تطربه نغمته ، وتعجبه ديباجته ، فتستغرق معه ساعات في المطالعة لا تمل ، وكلما أتممت فصلاً وددت لو طال اكثر . فمقالات العقاد في تحليل روح المعري وحياة المتنبي وأدبه دلت على ادب بارع ونفس طويل ، وخواطره في ماكس نوردو وأناتول فرانس والشعر ومزاياه والطبع والتقليد وعبقرية الجمال والتشاؤم وادوار العمر كل ذلك ممـا يحمل للقاريء علماً طريفاً وتليداً ، ونبوغاً وعبقرية وتجديدا ، يروقك باسلوبه فتستفيد من الفكرة ومن القوالب البديعة التي ظهرت فيه

طلق ألاستاذ العقاد الاسجاع والجناس وانواع البديع ، وجاءنا بانشاء فيـه طلاوة الحديث بسبكه ومعناه ، وجلالة القديم ببيانه ، وربما تلوت له فصلاً برمتـه وليس فيه سجعة او معنى مكرر ، تراه يكتفي في تصويره بعشرة الفاظ ، وكان غيره يحشر له العشرين والثلاثين لفظة ، واذا عمد الى استعمال الفصيح الذي لم يبتذل ، فانه يكون في كلامه بمقدار الخال في صفحة الوجه الجميل اما التراكيب فتظن

نفسك وانت تقرأ كلامه امام (أبدى بدوي وعلى طباع افصح عربي)

وان اهل هذه الطبقة العالية ، قد اكذبوا القائلين بان العربية لا يتسع صدرها للمعاني الجليلة ، وان العرب عنوا بالالفاظ اكثر من المعاني ، وما الالفاظ الا القوالب فقد قال ابن جني في الخصائص ، رداً على من ادعى على العرب عنايتها بالالفاظ واغفالها المعاني . ان العرب كما تعنى بالفاظها ، وتصلحها وتهذبها وتداعبها ، وتلاحظ احكامها بالشعر تارة ، وبالخطب اخرى ، وبالاسجاع التي تلزمها وتكلف استمرارها فان المعاني أقوى عندها ، واكرم عليها ، وافخم قدراً في نفوسها ، فأول ذلك عنايتها بالفاظها فانها لما كانت عنوان معانيها وطريقا الى اظهار أغراضها ومراميها ، اصلحوها وبالغوا في تحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السمع وأذهب في الدلالة على القصد . فاذا رأيت العرب قد أصلحوا الفاظها وحسنوها وحموا حواشيها وهذبوها ، وصقلوا غروبها وأرهفوها ، فلا تريد ان العناية اذ ذاك انما هي بالالفاظ بل هي عندهم خدمة منهم للمعاني ، وتنويه بها ، وتشريف منها ، ونظير ذلك اصلاح الوعاء وتحصينه ، وتكوينه وتقديسه وانما المبغي بذلك منه الاحتياط للموعى ، وعليه جوازه بما يعطر نشره ... وقال عبدالقاهر الجرجاني في (دلائل الاعجاز) : لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه . ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك . وقولهم يدخل في الاذن بلا إذن ، فهذا مما لا يشك العاقل في انه يرجع الى دلالة المعنى على المعنى وانه لا يتصور ان يراد به دلالة اللفظ على معناه الذي وضع له في اللغة

قلنا وهذا ما جعله المجودون من كتابنا المعاصرين نصب اعينهم فلم يقنعوا بالقشور بل اهتموا بالالباب ، وعنوا بالقوالب وما تحويه ، واذ قد أرهفوا اقلامهم لنقد الكاتبين المتوسطين كانوا أحرياء بأن يظهروا كتاباتهم خالية من الشوائب اللفظية والمعنوية ، وادبنا في كل عصر ما خلا من نقاد يوازنون بين كلام المبرزين في منثورهم ومنظومهم ، ينوهون بالكلام الشريف ويزذلون الساقط الوضيع ومعولهم في احكامهم على قوانين البلغاء والذوق السليم

لو لم تغفل عين العناية بعد القرن الرابع للهجرة عن الاقتباس عن الامم الاخرى

ولو لم يكتف اهل الادب والعلوم بما حصل لهم ونقحوه وأضافوه حتى القرن الثالث عشر اي لو لم نقف بأدبنا عند حد ما عرفنا تسعة قرون ، لكننا اليوم كفرنسا بالشعر والادب نفهم منها ما يفهمه الفرنسيس بل سائر امم الغرب الراقي من الشعوب الانجلوسكسونية واللاتينية والسلافية ، ولكننا ننال جوائز نوبل في الادب على نحو ما يأخذها الهولانديون والسويديون على الاقل ونحن معاشر العرب بعددنا نحو عشرة اضعاف كل امة من تلك الامم الصغيرة الممدنة ·

وانا لنرى هذا التجدد محسوساً في الشعر كما هو محسوس في النثر فقد جاء محمود سامي البارودي اواخر القرن الماضي في شعره عربياً قحا وتلاه اسماعيل صبري بشيء من ادب العصر فحل قيداً من قيوده وجاء بعدهما حافظ ابراهيم بشعره الاجتماعي المرقص ففك قيود سابقيه وسيجيء صاحب السلسلة الرابعة بما ليس الآن في الحسبان والتجدد والنشوء الاجتماعي · لا جرم ان للصحف والمجلات اليوم يداً طولى في هذا التطور فانها تنقل الينا كل يوم شيئاً جديداً عن آداب الامم الاخرى وكلما تطورت مدنيتنا بطور العصر فالادب اول ما يتطور فينا · يعلم ذلك كل من تصفح سفراً نشر قبل خمسين سنة وكتاباً نشر اليوم ، ومن تلا الصحف لعهدنا وعارضها بما كان يكتب من نوعها اوائل عهد الصحافة العربية في مصر والشام وتونس ، يدرك الخطوات السريعة التي خطوناها نحو المدنية وجددناها على ما يوافق اقليمنا وطباعنا والبسناها حلة من حللنا الشرقية البديعة · واساتذة هذا الشأن بمصر اليوم العقاد وطه حسين والمازني وعبد القادر حمزة وغيرهم من حملة الاقلام الذين يقودون قراءهم الى سوق عكاظ جديد وفي الشاميين كتاب من هذه الطبقة يطرسون على آثار كتاب مصر ولا نعلم في العراق وتونس والجزائر اناساً يصدق عليهم تعريف المجددين في الانشاء

ربما يتساءل القارىء وقد بلغ به البحث الى هذه الجملة وهل كان النساء يا ترى بعيدات عن هذه الحركة الادبية على حين لم يكن في بغداد ولا الاندلس ولا في صدر الاسلام بعيدات عنها ؟ (راجع الجزء الخاص بالصحابيات من طبقات ابن سعد الكبرى) و (بلاغات النساء) لابن طيفور واخبار الاندلسيات في (نفح الطيب) فالجواب انهن شاركن بقدر اللزوم ولا يزال عددهن ينمو بنمو روح العلم فيهن

فقديماً رأينا المحدثات والواعظات والمتفقهات والاديبات واليوم نرى الكاتبات والاديبات والباحثات والخطيبات فقد افتخرت مصر بنبوغ السيدة عائشة عصمت التيمورية شقيقة الاستاذ احمد تيمور باشا العالم المشهور ولها ديوان شعر سلس رقيق وجاءت بعدها السيدة ملك ناصف الملقبة بباحثة البادية وهي ابنة حفني ناصف شيخ الأدب في عصره وصاحبة كتاب (النسائيات) وكانت كاتبة مبدعة فعاجلتها المنية وكان يرجى منها ان تقلب حياة المرأة المصرية رأساً على عقب ٠ وقد حللت الكاتبة المشهورة السيدة مارى زيادة الملقبة بمي حياة ملك ناصف في سفر بديع دل على علو كعبها في الادب وتحليل النفوس ٠ وفي الشام ومصر اليوم زمرة من الكاتبات المجيدات المتشبعات بالآداب الغربية لا تحضرني الآن اسماؤهن باجمعهن ٠ والنساء عندنا في دور الفهم والتطور والاقتباس ٠

ولا يسعنا ان نختم هذه العجالة قبل ان نرسل سلاماً طيباً الى كتابنا الشاميين في المهاجر ولا سيما في الامريكتين فانهم تشبعوا بالادب الافرنجي فأخذوا يكتبون لقومهم هنا وهناك بلسان جديد من التجدد ٠ بل اكثر من التجدد واشتهر منهم امين الريحاني صاحب (الريحانيات) و(ملوك العرب وغيرهما) من تآليفه وجبران خليل جبران وهو كاتب ومصور ولكن تصوير الكلام بالحروف يتعاصى عليه احياناً اكثر من التصوير بالقلم والخطوط على ما يظهر فيبدو الغموض في تضاعيف سطوره ومثال من ذلك كتابه (الأجنحة المتكسرة) ولكل منهما قراء ومعجبون بادبهما ولو كتب لها ان يرزقا حظاً من البيان العربي يوازي حظهما من الآداب الانجليزية اذاً لجاء من شعرهما المنثور وخيالها اللطيف مادة للمجددين في ادب لغتنا ٠ وهناك بضعة من الكتاب نزلوا ممالك الجنوب والشمال من اميركا فكتبوا وعلموا قومهم ولم يكتب لنا الاطلاع على عامة ما خطته أناملهم ونمقته افكارهم

ولا بأس من التصريح هنا برأي لنا خاص في الكتاب الاقدمين منهم والمحدثين وربما كان في حملة الاقلام من لا يساهمنا هذا الرأي ويعدون حكمنا من باب التهجم على من عرفوا كلهم شهد الله بالفضل واغلوا غناءهم في جانب الآداب ٠ ولكن هو الرأي يصدره الصغير امام الكبير ولا اثم عليه ولا حرج ٠ نريد ان نقول ان

عمر الطالب يقصر عن استيعاب جميع ما كتبه المنشئون في هذه الملة تصفحاً ودرساً فالاولى ان يختار الزبدة ويأخذ الأهم فالاهم مما يعينه على تحسين ملكته في البيان وما يخاله من حيث الاسلوب الا ً مخترع طريقته بنفسه متى تمت أدواته اللازمة واتقن ما لا غنية عنه من نحو اللغة وصرفها وبيانها وبلاغتها . والاولى الاقتصار في الدراسة على من اجمعت الامة على تبريزهم في هذه الصناعة كعمرو بن بحر الجاحظ وعبدالله بن المقفع وعبد الحميد بن يحيى وسهل بن هرون واحمد بن يوسف واضرابهم ممن كتبوا مع طبعهم غير متعملين . وما قيل في الكتاب يقال في الشعراء جاهليهم ومخضرميهم ومولديهم وهم بحمد الله كثيرون جداً والأولى الاقتصار على بضعة من الشهود لهم بالاجادة المتناهية . اما ادب اهل العصور المتأخرة فان الطالب يقرأه حب الاطلاع أو لأخذ مادة عن تاريخ الادب في عصورهم وبعبارة أوجز يعتمد في البيان على القدماء من قبل الاسلام الى اواخر القرن الرابع كما يأخذ العلوم عن المحدثين من امم الحضارة وغيرهم

لا جرم ان الادب العربي قد اتسع امامه مجال التجدد الآن وما حدث فيه من التطور منذ نحو مائة سنة فكاد يلحقه بآداب الغربيين الا ً قليلاً دليل على قابلية هذه اللغة — بما فيها من الفصيح والمترادف والقلب والابدال وما لا تأباه من التصريف والاشتقاق والوضع والدلالة والمجاز والكناية — للتجدد في كل عصر وبرهان على مرونتها للاخذ بالاصلح على قاعدة الانتخاب الطبيعي مع مراعاة قواعدها وروابطها التي استقرت باستقرار القرآن الكريم

ولذلك ساغ لنا ان نقول : ان لغة القرآن صالحة للمدنية في كل زمان ومكان وان ادباً عرف تاريخه منذ خمسة عشر قرناً هو من السعة بحيث لا يتسع مبحث صغير كهذا لاستيعاب جرمه الكبير .

محمد كرد علي



خزائن الكتب العربية

من نفائس الخزانة البارودية الكبرى في بيروت (١)

(تابع لما قبل)

(النبات والحيوان) للشيخ الرئيس ابن سينا نحو ٦٠٠ صفحة لعله نسخ في القرن السابع للهجرة وهو نادر

(شرح منظومة آداب الاكل) لابن العماد نحو ٢٠٠ ص

(عيون الحقائق وايضاح الطرائق) للشيخ ابي القاسم بن احمد العراقي في رحيّل ارباب الصناعات نحو ٢٠٠ ص بالقطع المتوسط نسخ في القرن التاسع للهجرة

(ديوان حسام الدين الحاجري) جمعه عمر بن حسين الدمشقي نسخ من نحو ستمائة سنة بغاية الضبط في ٥٦ صفحة بقطع الربع

(ديوان الحادي) وهو شمس الدين محمد الصيداوي يشتمل على مراسلاته لمعاصريه نظماً ونثراً الفه سنة ٩٩٧ هـ في ١٦٠ ص

(ديوان البستي) نسخة نفيسة كتبت لخزانة الملك الاشرف بغاية الضبط والتوشية في ١٤٤ ص بالشكل الكامل

(تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم) لابي عبدالله محمد بن سعدالله الكناني نسخ سنة ١٠٢٦ هـ في ١٠٨ ص

مجموع فيه (موضح الأدلة في معرفة رؤية الاهلة) للشيخ محمد بن زريق الموقت و (رسالة في اسباب الزلازل) في ٣٤ ص

(الهندسة) متن مشروح ألف لاغ بك بن تيمورلنك نسخة نفيسة مصورة على

---

(١) بعد كتابة القسم الاول من المقالة ارسل الي صاحب المكتبة الفاضل بهيج افندي البارودي فهرساً بقلم القانوني الكبير جرجس بك صفا فوصفت الخزانة كما هي عليه الآن مع الاشارة الى ما عرفته من كتبها المباعة قبل الحرب وفي اثنائها . منتخباً ذلك من اربع مائة مخطوط باقية فيها الآن

مثال اقليدس الصوري في ٥٦ ص

(مختصر في الحكمة (الطبيعيات)) لمحمد بن شريف الحسيني في ٨٦ ص بحواشٍ مضبوطة

(شرح غريب المقامات) لابن ظفر الصقلي في ٧٤ ص يليه شرح آخر لابن الانباري في ٤٠ ص بغاية الضبط

(الالحان السواجع) للصفدي نحو ٧٢٠ ص يشتمل على المراسلات بينه وبين العلماء نظماً ونثراً مضبوط نسخ في آخر القرن العاشر للهجرة

(فضائل القدس) لجمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في ٥٨ ص مخروم الآخر يليه تراجم ومراسلات دارت بين المؤلف واحد معاصريه

(شمس العلوم) في الاستدلال من الفلك والابراج على امور الناس

(رسالة في الفلك) برسوم واشكال بديعة لعلها نسخت في القرن العاشر للهجرة في ٢٢ ص

(مجموع مراسلات) يحتوي مناشير ورسائل البطاركة والاساقفة والكهنة والاعيان من السريان والموارنة والروم الكاثوليك في اثناء سنتي ١٨٠٧ — ١٨١٠م بخطوط كاتبيها في ٢٠٠ ص بقطع كبير

(مجموع رياضي فلكي) مثل شرح على (شرح الملخص) في الفلك وشرح الملخص للقاضي زاده الرومي و(عروض) للانصاري و(خلاصة الحساب) للبهاء العاملي

(عين الحياة في الحيوان) للدماميني كتب في القرن العاشر للهجرة

(مجموع فلكي آخر) في بيان عرض البلد وطوله والاقاليم والتواريخ الرومية والعربية والفارسية والقبطية وشرح الربع المجيب والاسطرلاب واستخراج الليل والنهار بالجيب والربع المقطوع الشمالي ومعرفة المنازل والمقنطرات وشرح الوقاية في بيان الدائرة الهندية ورسالة موضح الاوقات والكرة نسخت سنة ١١٣٤ هـ في ٤٠٠ ص فيها ٢٣ رسالة

(المغني في الطب) لسعيد بن هبة الله نحو ٢٤٠ ص نسخ سنة ١١٥٧ هـ

(دقائق الحقائق) في المنطق وهو الجزء الاول لعلي بن ابي علي الآمدي في نحو

٥٠٠ ص وفيه اعتراضات على المناطقة واصطلاح اليونانيين وغيرهم في تعريف الحدود والاجناس واطالة في شرح الكليات والاقيسة ويزيد النسخة اهمية انها قرئت على المصنف المتوفى سنة ٦٠٨ هـ وهي بغاية الدقة والضبط

رسالة (القسطاس في العروض) للزمخشري نسخت سنة ١١٩٥ هـ باتقان وضبط وتذهيب في ٦٠ ص على ورق من الحرير

(الكيمياء القديمة) في تحويل المعادن وصناعة الاكسير لابي الحسين حسن من قرشمش (كذا) في ٣٢ ص

(كتاب آخر في الكيمياء) اسمه لوامع الافكار المضيئة في شرح مخمس الماء الورقي للجلدكي في ١٤٤ ص يقول المؤلف في مقدمته انه الفهُ في دمشق سنة ٧٤١ هـ

(الآيات المقصورة على الابيات المقصورة) للشيخ عبد القادر الطبري في شرح المقصورة الدريدية في نحو ٤٠٠ ص نسخ سنة ١١٠٧ هـ

(صور حروف الكتابة عند جميع الامم) من صابئة ويونان وهنود وصينيين وغيرهم في نحو ١٠٠ ص

(شرح تذكرة نصير الدين الطوسي) في علم الفلك للسيد الشريف الجرجاني موشّى بالرسوم المتقنة على ورق حريري مضبوط النقل نسخ سنة ٨٩٥ هـ في مدينة بروسه نحو ٣٠٠ ص

(كامل الصناعة) للمجوسي في الطب وهو المقالة التاسعة من الجزء الثاني من الكتاب في ٢٠٠ ص نسخ في القرن التاسع للهجرة

(شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون) وفيه تراجم من ذكروا في القصيدة من ملوك وامراء ومشاهير في ٢٨٠ ص نسخ في القرن العاشر

(مجموع) في نحو ٤٤٠ ص فيه اصول الصرف والنحو بالفارسية ومعجم مختصر بالعربي والفارسي · قسم منه للزمخشري نسخ في القرن العاشر للهجرة

(مجموع رسائل) لبعض كهنة الروم الارثوذكس واجوبتها ورسائل من البطاركة وغيرهم في شؤون مختلفة نسخت سنة ١٦٤٦ م في ٥٢ ص

(شذور العقود في تاريخ العهود) لابن الجوزي في ٢٠٠ ص

(رفع الحجاب عن اعمال الحساب) لابن البنأ في الحساب والجبر يقع في ٢٢٢ ص نسخ بشكل ضبط سنة ٨٨٩ هـ

(اعراب ابيات من الشعر الجاهلي) : توجيه اعرابها وايضاح مشكلها بغاية الضبط ربما نسخ في القرن السادس للهجرة جيد الورق متينهُ نادر الوجود

(مجموع قديم) نسخ سنة ٥٧٣ هـ فيه مثلثات قطرب وفصيح ثعلب مضبوط بالشكل الكامل نادر المثال

(الدروج في المجربات) فيه ١٢٠ وصفة من اصبغة وادوية ووصفات لإزالة الاصباغ والطبوع واشباهها في ٥٤ ص كتب في القرن السابع للهجرة

(رحلة الشيخ نجيب الدين) ارجوزة شعرية الفها سنة ١٠٤١ هـ وتليها رسائل اخرى مختلفة

(شرح الكلستان) بالعربية ليعقوب بن سيد علي نسخ سنة ٩٠٧ هـ والكلستان لسعدي منه نسخة في تلك الخزانة بغاية الضبط بالفارسية

(الزيج المفيد على اصول الرصد الجديد) لرضوان افندي في جزأين نسخا سنة ١٠١٥ هـ عن نسخة المؤلف وفيه جداول للسنين واستخراجها بحسب التاريخ القبطي والعربي والفارسي والمسيحي وبيانات فلكية كالكسوف والخسوف ومنازل القمر ونحو ذلك في ٢٠٠ ص بغاية الضبط

(تحرير كتاب مانالاوس) في الاشكال الكرية وفيه رسوم كثيرة بغاية الضبط على ورق حريري نسخ سنة ٦٢٢ هـ

(كتاب في الحساب والجبر والمقابلة والمساحة) لعبد الرحيم المرعشي نسخ سنة ١١٣٧ هـ عن نسخة المؤلف في ١١٤ ص

(تاريخ الطبري) مترجم عن العجمي الى العربي بقلم خضر بن خضر بن حاجي حسن الآمدي سنة ٩٣٩ وهو الجزء الثاني من سنة ٦٢ هـ الى ٦٥٦ هـ في نحو ٧٦٠ ص

(له بقية) عيسى اسكندر المعلوف



آراء وافكار

القاب البلاد

ذكر الاستاذ السيد سليم عنحوري في مقالته المفيدة (فوائد لغوية) المشورة في مجلد ٤ ص ١٢٣ من مجلة المجمع القاب البلاد : ان لقب الفيحاء يطلق على طرابلس الشام وانه استعمل للشام مع ان هذا اللقب استعمل لدمشق والشام اسم عام لبلاده وقد استعملوه ايضاً للموصل وهذا شعر السري بن احمد الرفاء الذي نقله ياقوت في معجم البلدان (جزء ٤ صفحة ٦٨٤ طبع ليبسك وج ٨ ص ١٩٧ طبع مصر) القائل :

سقى رُبى الموصل الفيحاء من بلدٍ جود من المزن يحكي جود اهليها
وأندبُ العيش فيها ام انوح على ايامها ام أعزّى في لياليها !
ارض يحنُّ اليها من يفارقها ويحمد العيش فيها من يدانيها

يؤيد لنا ذلك ٠

ومن البلاد التي كانت في جبين الشام شامة الرملة البيضاء ذات الجامع الابيض وقد فات الاستاذ ذكرها وهي التي اوردها المتنبي في بيته :

اذا السحاب زَفته الريح مرتفعاً فلا عدا الرملة البيضاء من بلدِ

بل هي التي اظلمت في عيني علي بن محمد التهامي الشاعر لما قضى ولده بها فقال فيها ما نقله ياقوت في معجم البلدان (ج ٢ ص ٨١٩ طبع ليبسك وج ٤ ص ٢٨٧ طبع مصر »

ابا الفضل طال الليل ام خانني صبري فخيّل لي ان الكواكب لا تسري
ارى الرملة البيضاء بعدك أظلمت فدهري ليل ليس يفضي الى فجر
وما ذاك الا انّ فيه وديعة ابى ربها ان تسترد الى الحشر
بنفسي هلال كنت ارجو تمامه فعاجله المقدار في غرّة الشهر

والمقدار في عجز البيت الأخير هو القدر قال الزمخشري في اساس البلاغة في مادة قدَر: « ومقدارها مبلغها والامور تجري بقدر الله ومقداره وتقديره واقداره ومقاديره »

عبدالله مخلص

الكوسات غير الكوس

كتب الاستاذ الامير شكيب ارسلان في مجلة المجمع العلمي العربي (سنة ٤ ص ٢٧٥) مقالة ممتعة أورد فيها ملاحظاته القيّمة على بعض الكلمات والمصطلحات التي سالت على اقلام مؤازري المجلة فجاءت مقالته من اجود ما كتب الكاتبون وقد تطرّق فيها (صفحة ٢٧٩) الى ذكر الكوسات والكوس التي وردت في سيرة صلاح الدين يوسف بن ايوب وقال من المعروف ان الكوس هو الطبل فلماذا ذكرت الكوسات الى جانب الطبول في كتاب التيسير والاعتبار اذا كانت شيئاً واحداً ؟

والحقيقة ان الكوسات هي غير الكوس الذي اجمع اللغويون على انه الطبل وقد وصفها لنا القلقشندي (في الجزء ٤ صفحة ٩) من صبح الأعشى بقوله :

« الكوسات : هي صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يُدق بأحدهـا على الآخر بايقاع مخصوص ومع ذلك طبول وشبّابة يدق بها مرتين في القلعة كل ليلة ويُدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة ومرّة قبل التسبيح على المآذن وتسمى الدورة بذلك في القلعة وكذلك اذا كان السلطان في السفر تدور حول خيامه »

ولا تزال هذه الآلة يستعملها اليوم مشايخ الطرق فيما يسمونه بالعدّة المؤلفة من طبل (١) وبازة (٢) ومزاهر (٣) وكاسات واعلام .

والكاسات هي الكوسات بنفسها ولا بدّ ان يكون طرأ على تسميتها بعض التحريف فنعتوها بالكاسات واتخذوا لها مفرداً (الكاس) وفي البلاد التي حول دمشق يقال لها الخليلي

هذا ما رأينا ان نعلق فيه على كلام الامير وفوق كل ذي علم عليم

ع . م .

(١) ويسمونه بالنوبة والأصح ان يُطلق هذا الاسم على نوبة الذكر
(٢) البازة هي صحن من نحاس قد شُدّ عليه الجلد ينقر عليها بسير خشن ومثلها النقارات التي يدق عليها وهي مثبتة
(٣) المزاهر هي الدفوف وواحدها المزهر

استدراكات

قرأت في الجزء الثاني عشر من مجلة المجمع كلاماً على بني المحاسني من بيوتات الشام القديمة لحضرة الاستاذ العلامة البحاثة السيد عيسى اسكندر معلوف ذكر فيه انه ترجم هذا البيت مفصلاً في كتابه (تاريخ الأسر الشرقية) نافلاً ذلك من مخطوطات كثيرة

فانا أنبه خاطره الى ما ورد بحقهم في نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب للعلامة المقري هذا ان لم يكن قد تنبه اليه

ولحظت في نقد حضرة الاستاذ معلوف لجغرافية سورية العمومية المفصلة انه اخذ على صاحبها قوله (جدول القاعة) وانه كررها ثلاث مرات وقال ان صوابها (القاع)

فاذا كان المراد بذلك هو النهر المسمى بنهر الصفا الذي يخرج من اسفل قرية عين زحلتا منضماً اليه جدول القاعة فالصواب ما قاله صاحب الجغرافية لان أهالي البلاد يسمون هذا الجدول بنبع القاعة ولا يقولون له نبع القاع . وسبب هذه التسمية والله اعلم انه يخرج من مغارة مستوية الارض والسقف كأنها منحوتة بالايدي يقولون لها القاعة تشبيهاً لها بها وعلى كل حال فاهالي الجبل عندنا يلفظون هذه الكلمة بتاء التأنيث فيجب ان تبقى في الكتاب في الطبعة القادمة على ما هي عليه

مرسين شكيب ارسلان

***

كتاب تهذيب الاخلاق

قرأت كتاب تهذيب الاخلاق بامعانٍ وتدقيق فما وصلت الى آخره الا ولفت نظري استدراككم عليه فتذكرت اني كنت قرأت لأحد المستشرقين الاب بريه (Augustin Périer) كتاباً بالافرنسية عنوانه : يحيى بن عدي . بحث فيه عن حياة ابن عدي فذكر مؤلفاته وشرح آراءه وفلسفته وقد قدم الكتاب المذكور في سنة ١٩٢١ الى جامعة باريز (الصوربون) للحصول على شهادة العالمية

وترجم للافرنسية بعض مقالات ليحيى بن عدي فجاء الكتاب رغم ما فيه من الهفوات حاوياً لكثير من الامور المفيدة .

يقول الاب (بريه) ص ٢٤ انه وجد في الفاتيكان (Vatican) مجموعة خطية فيها كتب ليحيى بن عدي في (١٦٥) صفحة وفي كل صفحة ١٢ سطراً . وقد حوت كتاب تهذيب الاخلاق من صفحة ٤٧ الى صفحة ١٥٣ . وقد صُدر الكتاب بهذه العبارة: هذا كتاب تهذيب الاخلاق تأليف الحكيم الأجل الأفضل ابي زكريا يحيى بن عدي

فهذا مما يقوي الاعتقاد بنسبة الرسالة الى يحيى بن عدي غير ان الاب بريه يذكر انه وجد على هامش النسخة المذكورة عبارة تبعث على الشك في صحة هذه النسبة (والعبارة هي : ذكر ان مصنفها ابو الحسن بن الحسن بن الهيثم) : ولكنه يؤكد (صفحة ١١٩ من كتابه) انه مهما يكن من امر هذه العبارة فان نسبة كتاب تهذيب الاخلاق الى يحيى بن عدي صحيحة لا ريب فيها لان النسخ المخطوطة التي تنسب ذلك له كثيرة في الشام ومصر . وليست مجموعة الرسائل التي طبعت في القاهرة (سنة ١٩٠٩) بأقوى حجة من الكتاب الذي طبع فيها سنة ١٨٩١ فان الاول ينسب كتاب تهذيب الاخلاق للشيخ الاكبر محيي الدين بن عربي والثاني ينسبه ليحيى بن عدي . ويظن الاب بريه ان ناشر مجموعة الرسائل لم يجهل الطبعة الاولى لكتاب تهذيب الاخلاق فنسب الكتاب في الطبعة الثانية لمحيي الدين بن عربي عمداً ؟ .. هذا ما رواه الاب بريه وهو المسؤول عن رأيه وقد رأيت ان اخبركم به حباً بالعلم والفائدة

باريز جميل صليبا

ليسانسيه من الصوربون

ذيل الروضتين

في خزانة الامة بباريز عدد ٥٨٢٧ من القسم العربي نسخة من كتاب الذيل على الروضتين لابي شامة كما ان من هذا الكتاب نسخة في خزانة الامة ببرلين عدد ٩٨١٣ وفي المتحف البريطاني نسخة منه تحت رقم ٥٥٥ من ذيل القائمة الكبرى وفي مكتبة الكوبرلي في الاستانة نسخة منه ايضاً الآ ان مصر والشام ولها وفيهما ألف هذا السفر قد خلتا من نسخة ٠ وقد استنسخ العلامة احمد تيمور باشا نسخة منه نقلت له التصوير الشمسي عن نسخه باريز وتفضل فاهدى نسخة اخرى عنها لخزانة المجمع

مؤلف هذا الكتاب هو مؤلف الروضتين نفسه عبد الرحمن بن اسمعيل بن ابراهيم بن عثمان شهاب الدين ابو شامة المقدسي الاصل الدمشقي النحوي ذكره الكتبي في فوات الوفيات فقال فيه انه الامام العلامة ذو الفنون وهو المقرىء النحوي ولد سنة ٥٩٦ وتوفي سنة ٦٦٥ كتب الكثير من العلوم واتقن الفقه ودرس وافتى وبرع في العربية وصنف شرحاً نفيساً للشاطبية واختصر تاريخ دمشق مرتين الاولى في عشرين مجلداً وله كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية وكتاب الذيل عليها وكتاب شرح الحديث المقتفى في مبعث المصطفى وكتاب ضوء القمر الساري الى معرفة الباري والمحقق في علم الاصول فيما يتعلق بافعال الرسول وكتاب البسملة الاكبر في مجلد وكتاب البسملة الاصغر وكتاب الباعث على انكار البدع والحوادث وكتاب السواك وكشف حال بني عبيد والاصول في الاصول ومفردات القراء ومقدمة نحو ونظم المفصل للزمخشري وشيوخ البيهقي وغير ذلك ٠ دخل عليه اثنان جبليان الى بيته الذي بآخر المعمور من طواحين الاشنان ومعهما فتوى فضرباه ضرباً مبرحاً كاد يتلف منه ولم يدرِ به احد ولا اغاثه ٠

ولم يذكر ابن خلكان في وفياته المؤلف اباشامة لامور كانت بينهما على ما يظهر من الذيل على الروضتين وكانا متعاصرين متباغضين وكان كلاهما يختلف

الى المدرسة العادلية حيث المجمع العلمي اليوم وقد سكنها كلاهما

ولعل ابا شامة كان يحسد ابن خلكان او ان ابن خلكان اقصى ابا شامة من بعض المدارس او من المدرسة العادلية نفسها فاورد قصيدة في شعر الفقهاء بعينه فيها سبب تنحيه عن المدارس آخر امره واشتغاله بزراعة ملك له وعمارته فانقطع بسبب ذلك عن المدرسة وقد عرض في القصيدة على ما رأينا بالقاضي ابن خلكان وهجاه صراحة مع اثني عشر قاضياً في مكان آخر

وذكر في حوادث سنة ٦٥٩ ه انه قرئ بالشباك الكمالي بجامع دمشق وانا حاضر فيه تقليد القضاء للقاضي شمس الدين بن خلكان الاربلي ويتضمن انه فوّض اليه الحكم في جميع بلاد الشام من العريش الى سلمية يستنيب فيها من يريده وفوض اليه النظر في اوقاف الجامع والمصالح والبيمارستان والمدارس وغيرها مما كان تحت يد الحاكم المعزول وفوض اليه تدريس سبع مدارس كانت تحت يد المعزول وهي العذراوية والعادلية والناصرية والفلكية والركنية والاقبالية والبهنسية .»

وترجم المؤلف نفسه وذكر ما رؤي له من المرائي وما رآه وما قيل فيه من الاشعار والاماديح وانه عرف بأبي شامة لانه كان به شامة كبيرة فوق حاجبه الايسر وذلك في سبع عشرة صفحة من كتابه ذيل الروضتين ويفهم من ترجمته أن القوم كانوا في دمشق يتلقون عنه في الجامع تاريخ دمشق لابن عساكر واخبار الدولتين الصلاحية والنورية وانه كان يجلس في المجلس الكبير الذي للكتب في صدر الايوان بالمدرسة العادلية وهو الموضع الذي يجلس فيه غالباً للفتوى وغيرها — غرفة قراءة مجمعنا اليوم — ومنه يخرج الى الصلاة بالمدرسة وانه اقرأ اكثر مصنفاته وسمعها ووقفها وكثرت النسخ بها وان جريدة كتبه اطول من التي سافها الصلاح الكتبي جاء فيها ان الاكبر من مختصر ابن عساكر في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمس مجلدات وان كتاب الروضتين في مجلدين وله مختصر في مجلد . وله كتاب جامع اخبار مكة والمدينة وبيت المقدس ومختصر تاريخ بغداد واختصر عدة دواوين وكان حريصاً في فتواه على الاجتهاد في الاحكام المختلف فيها فيفتي بما يراه اقرب الى الحق وان كان خلاف مذهبه تبعاً للادلة .

وكتاب الروضتين هو مجموعة لطيفة في اخبار الدولتين النورية والصلاحية طبع في مجلدين بمصر سنة ١٢٨٧ هـ بمطبعة وادي النيل اما الذيل عليه الذي ما برح مخطوطاً ونحن الآن نصفه فقد قال فيه مؤلفه بعد البسملة والحمدلة والديباجه «اما بعد فان في مطالعة كتب التواريخ معتبراً وفي ذكرها عن الغرور مزدجراً لا سيما اذا ذكر بعض من مات في كل عام من المعارف والاخوان والاقارب والجيران وذوي الثروة والسلطان فان ذلك مما يزهد ذوي البصائر في الدنيا ويرغبهم في العمل للحياة العليا والاستعداد لما هم ملاقوه والاقلاع عما هم عن قليل مفارقوه · وكان قد سهل الله تعالى عليّ وحبب اليّ ان جمعت في كتاب الروضتين كثيراً من الحوادث الواقعة في زمن الدولتين النورية والصلاحية سقى الله عهدهما واصلح ما بعدهما وانتهى ذلك الى السنة التي توفي فيها صلاح الدين رحمه الله تعالى وهي سنة تسع وثمانين وخمس مائة وذكرت تبعاً لذلك اشياء مفرقة فيما يتعلق باحوال اولاده ومن يتعلق بهم ثم خطر لي ان اجمع كتاباً يتضمن كثيراً من الحوادث بعد ذلك الى آخر ما تدركه حياتي ختمها الله بالعمل الصالح والفعل الراجح وكان فيما حملني على ذلك كثرة موت المعارف فأردت اثباتهم لعل بمطالعتهم اجد قلباً على الآخرة يساعف»

وقد وقع كتاب الذيل على الروضتين في هذه النسخة الباريزية في ٥٢٨ صفحة صغيرة (في كل صفحة ١٧ سطراً وكل سطر نحو ١٢ كلمة) كتبت بخط جميل لم يذكر فيها اسم كاتبها ولعله تركي لان خطها النسخي يدل على ذلك وفيها بعض زيادات من الناسخ بلا شك مثل لعن مالك بن انس وخالد بن الوليد رضي الله عنهما فان اللعن لا يجوزه العاقل الا على من يستحقه فكيف يطلقه على من اجمعت الامة على تبجيله امثال هذين العظيمين · بيد ان مما يعاب على هذا المؤرخ قوله فيمن يخالف مذهبه : لا رحمه الله ولا رضي عنه وعن امثاله

قال الاستاذ تيمور باشا في مقدمة النسخة المرسومة لخزانته : بدأ فيه من سنة ٥٩٠ ونوى ان يكتب فيه الى آخر حياته ووصل فيه الى سنة ٦٦٥ وهي سنة وفاته ولم يفعل ما فعل غيره من سرد الحوادث في اول كل سنة ثم الوفيات بل

مزجها في الغالب • وعنايته بالوفيات اكثر من عنايته بالحوادث اهـ •

ولم يكن ابو شامة يغفل ذكر احد ممن وقع له خبره ووقعت وفاته في محيطه، ومحيطه مشبع بالفقه والمدارس ونقل علاقته مع اهل البلاد المجاورة على ما يظهر وتراجم من ترجم لهم غير مستوفاة على الاكثر بل يورد الاسم وشيئاً من عمل صاحبه ووفاته ولو توسع في هذه التراجم لجاء كتابه من امتع الكتب في عصره مثل وفيات الاعيان لخصمه ابن خلكان ويلاحظ عليه انه ذكر مولوداً بل اولاداً ولدوا له وغلاماً مات له وابناً له توفي وامه التي توفيت واخباراً في خصوصيات بيته ونفسه مثل صلاته على جنائز بعض المشايخ مما لا يدخل في كتاب يكتب للامة كما انه ذكر بعض المؤذنين او المعدلين او التجار الذين لا شأن لهم • وكان الاولى ان يترفع تاريخه عن اسمهم وقد اطال في اشياء لا تهم التاريخ بحال مثل قصة الصبي التركي المصلوب كتب فيها اربع صفحات وحقها ان تكتب باربع كلمات او تحذف لانها خالية من فائدة على ما رأيناها ولعله اتى ذلك لكثرة تحدث الناس بها في وقتها وما كل ما يتحدث الناس فيه حري بالتدوين • والخلاصة فان في الكتاب تطويلاً في مكان واختصاراً في آخر

ومما استفدناه منه ما ورد في حوادث سنة ٦٦٣ من مصر من السلطان الملك الظاهر بيبرس الصالحي وهو ثلثة عهود لثلاثة قضاة احدهم حنبلي والثاني مالكي والثالث حنفي وجعل كل واحد منهم قاضي القضاة من المذاهب الاربعة ولكل منهم نائب قال وهذا شيء ما اظنه جرى في زمان سابق الا ان الاحكام كانت للقاضي الشافعي فقط فجعلت هذه المرة لاهل المذاهب المشهورة الاربعة •

والكتاب جدير بان يطبع مع الروضتين باعادة طبعه او في جزء على حدة تتميماً لفائدة الاصل خصوصاً وفيه من الاعلام ما قد لا يرى في غيره ولا بد من معارضته على النسخ المعروفة منه وان يوكل بتصحيحه الى عارف بالتاريخ وتراجم الرجال ليجيء خالياً من العيوب ويعمل له فهرس مطول كما عمل صديقنا احمد تيمور باشا بنسخته بل بكل كتاب يدخل الى مكتبته جزاه الله خيراً

محمد كرد علي

مطبوعات حديثة

محاضرات المجمع العلمي

من مقالات اناتول فرانس مقالة عنوانها « الموسيو هانري ملهاك في الاكادمية الفرنسية » وهذا بعض ما ثبت في البال منها :

« انتخبت الاكادمية الفرنسية الموسيو هانري ملهاك ، وفضلته على رجلين قد زاحماه على مقامه وهما يصلحان للاجتماع في نظامها ، ولا حرج على الاكادمية ان تشبهت بالسماء التي يصل اليها الناس من طرق شتى ، فقد تعطف الكنيسة الظافرة على الذين قارفوا الذنوب ، فتختصهم بالرحمة ، فتفسح لهم ، فيجلسون الى جانب الصالحين الابرار ، ان للاكادمية فائدة في جعلها بين المنتخبين تفاوتاً لطيفاً ، فلو لم يكن تحت قبتها الا نمط واحد من رجالها ، ولو لم يكن في الجنة الا طراز واحد من اهل الجنة ، لاصبحت الاكادمية والجنة في صورة واحدة متشابهة لا تنوع فيها .

لو لم تحسب الاكادمية في انتخاباتها حساب الضعف والخطأ ، ولو لم يظهر عليها في بعض الاحايين انها تنتخب الرجال عرضاً لبلغ منها انطواء القلوب على بغضها مبلغاً امتنعت عليها معه مذاهب الحياة ، وكان مثلها في الادب الفرنسي كمثل المحكمة بين المحكوم عليهم .

أجل لو كتبت لها السلامة من مزلة القدم لتبينت في الوجوه آثار مقتها وكراهيتها »

. . . .

وما عليك اذا قلت عن مجمعك العلمي وعن محاضراته ما قاله أناتول فرانس عن الاكادمية الفرنسية ، فانك ولا ريب تجد تبايناً بين رجال المجمع العلمي ، وترى تفاوتاً في محاضراته ، ولعل الامر الذي حمل الاكادمية الفرنسية على انتخاب المسيو هانري ملهاك هو الامر نفسه الذي دفع المجمع العلمي الى انتخاب امثال هانري ملهاك حتى نشأ ما نشأ من التفاوت بين محاضراته ، فلو اغلق المجمع العلمي ابوابه في وجوه بعض القوم ، ولو تشدد في قبول طائفة مما يرد عليه من نتائج الخواطر ، وثمرات القرائح لكان من كيد الناس ما كان . —

كنت تودّ على ما اظن لو اشتملت محاضرات مجمعك العلمي على الآراء الحديثة في الأدب وفنونه ، فانك من ابناء القرن العشرين ، وتحب ان يقع نظرك في كتب الادب على انماط تناسب عصرك ، واساليب توانق دهرك ، ولا ترغب في ان يستخرج لك الكتّاب دفائن انت تعرفها أو تسمع عنها ، أو انك كنت تود لو صوّر لك الكتّاب ما استنبطوه من هذه الدفائن في صورة من صور القرن العشرين ، فاذا وصفوا لك شاعراً من الشعراء ، او اديباً من الادباء فانك تطمع في قراءة وصف يتبين لك فيه اثرالواصف نفسه وصوب عقله ، على اسلوب عصري ، وتعني بالاسلوب العصري التغلغل في نفس الشاعر او الاديب وكشف الغطاء عن اسرارها .

انك ولا شك تأخذ في هذا اليوم بكلام ابي الحسين احمد بن فارس بن زكريا المتيم الذي يقول في بعض رسالة له :

«وهل الدنيا الا ازمان ، ولكل زمان منهما رجال ... ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب ادب غزير ، ولضلّت افهام ثاقبة ، ولكلّت السن لسنة ، ولمجت الاسماع كل مردّد مكرّر ، وللفظت القلوب كل مرجّم ممضغ ..»

....

أجل انك « متجدد » وتحب ان ترى في ادبك اثراً جديداً غير الأثر الذي نقلته اليك الايام ، وقذفته اليك الدهور ، ولكنك مهما قلت عن المجمع العلمي وعن محاضراته فانك لا تستطيع ان تنكر حداثة نشأته ، ومن الشطط ان تكلف مجمعاً علمياً نشأ من سنين قريبة ان يأتيك بما تأتي به مجامع علمية نشأت من اربعة قرون ، قد يجوز لك ان تطلب الى مجمعك العلمي ان ترى في محاضراته الآتية أثراً غير الاثر الذي رأيته في محاضراته الماضية او ان تجد من رجاله في غده جماعة يمشون على غير الآثار التي مشوا عليها في امسه

قد يجوز لك هذا كله ان شئت ، ولكن كيف كان الامر فمن العدل ان تعتقد ان لمحاضرات المجمع العلمي أثراً في النفس . فقد جعلت هذه المحاضرات بينك وبين من تقدمك من رجال ادبك وحضارتك وقضائك وتاريخك صلة من الصلات وسواء أكانت هذه الصلة كاملة أم لم تكن لا تخلو من نتيجة صالحة فانك في دهر

قد اشتط بعض متأدبيه في الانقباض عن الماضي ، والاستبشار بالحاضر فهم لا يشاؤون ان يعتقدوا ان لكل امة مزاجاً . وان هذا المزاج ان هو الاّ ميراث امزجة الأولين . قد احيته الايام وتممته الدهور ، فلا تميته وتنقصهُ الاّ الايام والدهور .

لقد ألفت اذنك ان تسمع الشعر العربي، وقويت فيك هذه الالفة من يوم خلق الله شعرك العربي الى يومك هذا، فلا يطربك الشعر الاعجمي المفرغ في قالب غير عربي الاّ اذا لم يكن ذوقك سليماً ولا طبعك خالصاً فمهما قالوا لك عن فلسفة اللذّة ومهما صوّروها لك فلا يبلغ تصويرهم من نفسك ما يبلغه بيت شاعرك طرفة :

ألا ايهاذا اللائمي اشهد الوغى وان احضر اللذات هل انت مخلدي

فاذا كان لمحاضرات مجمعك العلمي فضل فهو في تقوية الصلة بين الحاضر والغابر وتأييد الروابط بين السلف والخلف ، فمتى قويت هذه الصلة واشتدت هذه الروابط فلا حرج على العقول يومئذٍ ان انصرفت الى الادب الحديث لانها تصبح مستعدة لافراغ هذا الادب في قالب من قوالب العصر الحاضر فيه اثر من قوالب العصر الغابر الامة التي لا تحرص على ماضيها لا يحرص الله عليها في مستقبلها

شفيق جبري

****

حديث الاربعاء

للسيد طه حسين طبع بالمطبعة التجارية الكبرى في مصر سنة ١٩٢٥ ص ٣٢٥

لا يحتاج مؤلف هذا الكتاب الى التعريف به فان كل من شارك في الادب يعرف منزلته من النبوغ ، وكل من قرأ له مقالة وتدبر آيات فضله تقرم نفسه ابداً الى ان يستكثر من تلاوة بنات افكاره . و «حديث الاربعاء» هذا جزء من مقالاته الممتعة التي كان ينشرها كل يوم اربعاء في جريدة «السياسة» المصرية فتشوق الادباء وتروقهم . وقد ضم بين دفتيه حقائق كثيرة في الادب العربي بالمعنى الذي زكنه الاستاذ المؤلف واستبطن اسراره منذ غاص في آداب الفرنسيس غوصه في آداب العرب . ومن ابحاثه كلام على الشعر في العصر الأموي والعصر العباسي

والاندية الادبية . وقد حلل شعر ابي نواس في خمرياته وغزلياته وجدياته وهزلياته كما حلل من قبل نفس ابي العلاء المعري تحليلاً ادبياً لم يدع فيه مقالاً لقائل . وتكلم على الوليد بن يزيد ومطيع بن اياس وحماد عجرد وحسين بن ضحاك وبشار بن برد ووالبة بن الحباب وابان بن عبدالحميد ومروان بن ابي حفصة والسيدالحميري ممن عُني بالتقاط اخبارهم ابو الفرج في اغانيه — كلاماً تتمثل فيه نفسية هؤلاء المبرزين ونبوغهم في الشعر والادب على اساليبهم المعهودة .

انا من المعجبين باسلوب السيد طه حسين وممن يستحلي على الاغلب تكراره للمعنى الواحد في جمل كثيرة . وربما كان يجري في هذا النمط من الانشاء على غير مثال يحتذيه وليس له في كتاب العصر منحاه ضريب ولا نظير على ما اعلم . واذا عرفنا ان الكاتب يملي جمله املاءً ويرسل كلامه ارسالاً اغتفرنا له بعض المكررات في عبارته اذا لم يخرج بها الى الابتذال واسلوبه اسلوب عالم في درسه يحاول ان يحمل كلامه الى نفوس طلبته والحافين به ، يهزهم به هزاً حتى يهتزوا له و يتشربوه ويعوه أول ما يلقى اليهم . وطريقته مستحبة في الموضوعات التي يخوض عبابها لكنها لاتجمل في تقرير الحقائق العلمية او يوم ايراد البراهين السياسية والاجتماعية

ومن رأي المؤلف ان «القرن الاول للهجرة ص٩٧ » لم يكد ينتهي حتى كان الجيل قد تغير والعهد قد تبدل ، وحتى كان الاختلاط بين العرب والفرس وهذه الامم الكثيرة المتباينة في الشام ، قد عمل عمله واخذ يظهر آثاره الكثيرة المختلفة ، ومن اعظمها واشدها خطراً المجون وحب اللهو وحرية الفكر والسيرة » وان «القرن الثاني للهجرة قد كان عصر مجون وشك » وان هذا القرن الثاني « على كثرة من عاش فيه من الفقهاء والزهاد (ص ١٨٣) واصحاب الشك والمشغوفين بالجد ، انما كان عصر شك ومجون وعصر افتتان وإلحاد عن الاخلاق المألوفة والعادات الموروثة والدين ايضاً . » وانه « ليس (ص ١٨٥) غريباً ان يظهر هؤلاء الناس في ذلك العصر وانما الغريب ان يخلو منهم ذلك العصر ولا يظهر فيه الا الفقهاء والنساك واصحاب الزهد والتقى » وان الشك والمجون «استأثرا بعقول الكثرة المستنيرة من اهله حتى بعض الفقهاء واصحاب الكلام » فهو لا يقدس القدماء وانما ينظر اليهم كما ينظر

اليك والى نفسه ويعلم انهم مثلك ومثله « يجدون ويمزحون (ص٨٧) يحسنون ويسيئون» وان الدين لم يكن «ليمنع (ص ٨٥) الأمويين والعباسيين ان يستمتعوا بلذات الحياة ولم يكن الفتح ليمنعهم ان يستمتعوا بهذه اللذات ، ولم يكن العلم ليحول بينهم وبين ذلك . فما كان حظهم من العلم باكثر من حظ المعاصرين من اهل اوربا وامريكا . ولقد كان حظهم من اللذة اقل من حظ المعاصرين من اهل اوربا وامريكا . »

هذا ما ذهب اليه المؤلف وهو رأي جديد استلزم اعتراض المعترضين واحدث ضجة في اندية الادب في مصر وفي غير مصر والناس على العادة بين مستحسن ومستهجن ، لان المؤلف صرح ولم يجمجم ولكن كان المتلبسون بالتقية في كل عصر اسلم من المصرحين ، واكبر القوم نغمة المؤلف في زعمه بان كثيراً مما يروى عن الخلفاء من بني أمية وبني العباس صادق وانهم كانوا « يعبثون ويصطنعون ضروب اللهو ويستمتعون بفنون من اللذات كان يكرهها الدين » واستفظعوا ما أثره عن الشعراء والادباء في ذينك العصرين من المجون الذي ذهب الى انه كان مرآة اخلاق ذلك الدهر ، ولما تناول كلامه الرشيد والمأمون وغيرهما ممن عرفوا بالوقار والصون كثر ناقدوه وقل ناصروه ، خصوصاً بعد ان ثبت ان ما نقل في كتب المحاضرات يحتاج الى تمحيص وكان ثقات المؤرخين والاخباريين في كل عصر ينفونه ويردونه ، ولهم في هذا الشأن تحقيقات فرقت بين الخبث والابريز .

اننا على اجلالنا لاغاني الاصفهاني نعتقد ان فيه روايات مدخولة واحاديث ملفقة واسماء مصنوعة رواها المؤلف كما سمعها لغرابتها وجمالها ، او وعاها فأوعاها ولم يتسع له وقته لتمحيصها ولم يعرضها لما عرضت له على محك النقد ولا جلاها بنور العقل . واذا علمنا ان السياسة كانت وما زالت تسوّد الابيض وتبيض الاسود وان المنحرفين عن بني أمية وبني العباس يستحلون نقل كل ما يعزوه اليهم خصومهم من الاخبار المصفوفة التي تحط من اقدارهم وتجعلهم في نظر معظم العقلاء سواء والسفلة المستهترين — اذا عرفنا ذلك وأيقنا ان بعض هذه الطبقة استحلت ان تضع على الرسول العربي الاحاديث الكاذبة وتروي على لسانه الشريف ما هو ظاهر البطلان هان علينا اذا رأيناها تنسب الى المأمون وابيه اموراً هما منها

بريثان . ومن غريب الاتفاق ان تنشر بعض كتب هذه الفئة المتحزبة المتعصبة وتضيع اسفار مهمة للفريق الآخر وكانت تجزئتنا لكشف حقائق كثيرة لم تزل مستورة عن بعض الباحثين ، ولعلها لا تبقى على ذلك في مستأنف العصور والاجيال

يبث طه حسين فيما يكتبه في الصحف ، ويحاضر به طلبته في الجامعة المصرية ، روحاً جديداً هدته اليه الدراسة المنظمة ، وطول التأمل في حال المدنيتين الغربية والعربية . وقد يتأذى بما يقوله ويمليه بعض المحققين في التاريخ كما تأذى بنقداته بعض الكتاب والشعراء من هؤلاء المعاصرين . ولذلك يزيد خصومه كلما استرسل في بيان افكاره في الادب والمتأدبين واصدر حكمه مسمطاً على مجتمعنا في الدهر الغابر لان من الناس من تسوءهم الحرية ، ان دعوا اليها في ظاهرهم ، اعتادوا الدهان والملق ، يسمعونه ويسمعونه ويرتضونه ويرضون به . والخروج عن مألوفهم ومصطلحهم قد يعد في نظرهم كبيرة وما هو بها . ان من اعظم العوامل في ترقية المجتمع باخلاقه وعمله نقد المساويء ونشر المحاسن ، فاذا اطلق النبغاء امثال مؤلفنا على كل من انتسب الى صناعة الادب اللقب الذي يتطاول اليه ، وسكتوا عما يختلج في نفوسهم مما يرون في التنبيه اليه دعاية مشروعة الى الاصلاح وذريعة الى بقاء الانسب تبقى الحقيقة مكتومة ، والضعف في هذه الملكات متزايداً ونظل في عماية ولا نخطو الخطوات المطلوبة في سبيل التقدم .

وعجيب لعمر الحق ضيق صدور بعضهم من سماع ما يعرض لهم من الآراء فجة كانت او ناضجة مما يخالف ما اعتقدوه او توهموه ، ولو صبروا حتى يبدو زبرجها وبهرجها ويتجلي للناقدين خبرها ومخبرها لكان ادعى الى المعقول ، واعجب منه ان لا يسلم لاحد فضله اذا خالفنا في رأي او باينا في طريقته وتربيته ، نريد ان نقسر كل انسان على فكرنا ونشرب قلبه تعاليمنا . وقديماً كانت التآليف تزيف والافكار تنقد ، وما وصل الناس في فوضى الآراء الى ما وصلنا اليه في دهرنا ولا في التهجم على صاحب كل دعوة والتجهم لكل طريف من القول ، وكان النقد يكون بين المتماثلين على الاغلب . اعترض المسعودي صاحب مروج الذهب على سنان بن ثابت الحراني لتصديه لتأليف كتاب في الاخلاق فقال فيه انه انتحل ما ليس من صناعته ،

واستنتج ما ليس من طرابقته ، وهو وان احسن فيه ولم يخرجه عن معانيه ، فانه عيب لانه خرج عن صناعته ، وتكلف ما ليس من مهنته ، ولو اقبل على عمله الذي انفرد به من انواع الفلسفة «لكان قد سلم مما تكلفه واتى بما هو أليق بصنعته ، ولكن العارف بقدره معوز والعالم بمواضع الخلة مفقود » هكذا كانوا في ادب النقد ولسان حال الناقدين منا ما قاله ابو ذرّ الغفاري « قول الحق لم يدع لي صديقاً » م٠ ك

ملوك العرب

للسيد امين الريحاني جزآن يقع الاول في ٣٩٠ صفحة ٠ والثاني في ٤١٦ طبعا في المطبعة العلمية في بيروت ١٩٢٤ — ١٩٢٥

من خير الكتب التي ألفت في العهد الاخير لفائدة الامة العربية وقيام جامعتها هذه الرحلة لصديقنا واحد اعضاء مجمعنا العلمي الاستاذ الريحاني التي رحلها في البلاد العربية حجازها ويمنها وعسيرها ونجدها وعراقها وما اليها من الانحاء التي استنفضها واستقرأها وخبر معالمها ومجاهلها وحادث ملوكها وامراءها كما عاشر عامتها وخاصتها وسبر اخلاقها وعاداتها ووزن قوتها ومنعتها وحلل مواطن الضعف من ملوكها وممالكهم واماراتها واماراتهم وبالاجمال عرف عُجَرها وبُجَرها واطلع على مداخلها ومخارجها منطلقاً في الفكر غير متعنت في اصدار الحكم

رحل كثير من الغربيين والشرقيين الى بلاد العرب وقل ان وفقوا الى الاطلاع على ما كتب للمؤلف الاطلاع عليه ، فان منهم من زار قطراً ومنهم من زار اقطاراً ولكن زيارة سطحيـة في الغالب ٠ ومن العرب من طافوا تلك الارجاء وجابوا تلك الموامي والمفازات ولكن لا لغرض التدوين بل لمقاصد اخرى ، وقلّ جداً من استوفوا الموضوع من اطرافه ، وندر في ابناء العربية من اطلع اطلاع هـذا الرحالة الامين وقصد مما رأى وسمع فائدة امته اولاً ثم فائدة العلم والحقائق ثانياً ٠ رحل كثير من الغربيين الى بلاد العرب ولكن معظم من دونوا منهم مشاهداتهم وعواطفهم دونوها بحسب مصلحة بلادهم السياسية أما الرحالة العربي فانه دوّن ما دوّن وانتقد ما انتقد وهزأ بما هزأ وكشف ما كشف من السيئات ونوه بما نوه بـه من الحسنات لغرض

انشاء جامعة عربية فكان له هذا الفضل الذي لا ينكر

اما اسلوب المؤلف فجميل جد جميل ، يصور لك ما وقع بصره عليه من المظاهر والظاهرات تصويراً تكاد تلمسه بيدك ، ولو رزق حظاً من جودة المباني على النحو الذي احرزه من لطف التصوير للمعاني ، لجاء ما كتبه آية تامة من كل وجه ، بيد ان تخلفه في بعض الاحيان عن اللحاق بشأو البلغاء لا يقدح فيما يكتب ما دام جمهور المطالعين يرتاح الى السذاجة ، وليس له من الادب ما يستعين به على فهم الكلام البليغ المصقول . وكتاب السيد الريحاني على هنات قليلة وقعت فيه من الاغلاط اللغوية ومخالفة القواعد العربية يقرأه الخاصة والعامة فيستحسنونه واذا اخذ المرء بتلاوة بعض صفحاته يستهويه بلطف مأتاه ومغزاه فلا يجتزئ بمطالعة بضع صفحات بل قد يتلو عشرات منها وهو مأخوذ بما يتلطف المؤلف في ابلاغه عقل قارئه من الافكار السديدة ، والمشاهد الغريبة والنقد والألم .

ويقال بالاجمال ان كتاب ملوك العرب من الاسفار التي لا تستغني عنها خزانة عربي يهتم لقيام امر هذه الامة ويحب ان يعرف ميزاتها في صميم بلادها ، وان يستبطن اسراراً لا يجهل بمن يحب اعلاء شأن العرب تناسيها واغفالها ، وان العناء الذي صرفه المؤلف في استقاء هذه الحقائق في كتابه الخالد من منابعها الاصلية حريٌ بان يهنئه على نتيجته كل منصف لان الاخطار كانت اليه في بعض الاصقاع اقرب من حبل الوريد ، فذلل بهمته الشماء كل صعب يوم امتطى كل صعب وذلول ، وقاسى شظف العيش اكثر من حول كامل حتى يعود للعرب بهذه الهدية النفيسة وينقل لرجالهم هذه النسخة الصحيحة من كتاب جزيرة العرب . والكتاب مزين بصور ومناظر ومصوَّرات تجلي الغامض وتدل بعض الشيء على المعالم والوجوه وان كانت جودة الوصف بالقلم لا تحوج الى صورة ولا مصوّر . جزاه الله عن العرب خيراً

م . ك

اصلاح النسل

تأليف الدكتور مرشد خاطر طبع في المطبعة البطريركية الارثوذكسية بدمشق
سنة ١٩٢٥ ص ١٥٣

مؤلف هذا الكتاب من أعضاء المجمع العلمي العربي ومن اساتذة معهد الطب بدمشق ، كتب مختصره هذا لفائدة البلاد في اصلاح نسلها وجسدها ونفسها وعقلها وتكلم على الزواج وعلى الضعاف والاقوياء من المتزوجين والمتزوجات وعلى الاولاد وجمالهم وقبحهم وذكائهم وبلادتهم الى غير ذلك من الابحاث وعلل كل ذلك تعليلاً طبياً علمياً نفسياً يفهمه العوام كما يفهمه الخواص وهو ولا جرم نافع لجميع طبقات المجتمع خصوصاً وموضوعه طريف لانه قلما افرد بالتأليف بهذه اللغة على ما انتهى الينا من كتبها الحديثة . ولغة الكتاب رشيقة وهو تأليف استعان فيه المؤلف باقوال العلماء على عادة المؤلفين استعانة طفيفة فجاء كتابه على صغر حجمه نافعاً جديراً بان يقتبس منه كل من لم يسعدهم الحظ بدراسة هذه المواد في المدارس ولم يحذقوا لغة من لغات العلم الغربية

محمد كرد علي

***

فلسفة التاريخ العثماني

تأليف السيد محمد جميل بيهم . طبع بمطبعة (مكتبة صادر) في بيروت
سنة ١٣٣٤ هـ و١٩٢٥ م وعدد صفحاته (٣٠٠) صفحة

كتاب سياسي اجتماعي مزيّن بالرسوم والخرائط موضوعه الامبراطورية العثمانية وبيان السرّ في عظمتها وارتقائها وذكر العوامل المؤثرة في هذا الارتقاء والنهوض حتى تسنى لها أن تجمع شتات الشرق الاسلامي وتعلي كلمته بعد أن استخذى للفاتحين شرقاً وغرباً .

وقد شرح المؤلف كل ذلك شرحاً وافياً وعمد اليه من أقرب الطرق مستشهداً باقوال الكتبة الاوربيين عازياً كل قول الى صاحبه . وقد اضطره امعانه في البيان

والايضاح الى تتبع الدول التي عاصرت العثمانيين إبّان نهوضهم فوصف من احوال تلك الدول واطوارها ما كان له تأثير كبير في ذلك النهوض العجيب وقد وعد المؤلف ان يضع كتاباً آخر يشرح فيه العوامل التي كانت السبب في انحطاط الدولة العثمانية وسقوطها من شامخ عظمتها .

كنا نقرأ ما كتبه المؤلف بلذة وارتياح عظيم ونفقه الغرض الذي رمى اليهِ من صريح كلامه وظاهر عبارتهِ . غير انا مع هذا كنا نلمح غرضاً آخر يترقرق تحت الغرض الاول ويتراءى لنا من خلال سطوره . ذلك ان المؤلف وهو يسرد الحوادث باسبابها ونتائجها كان كأنه يتعمد إعمال المقارنة بين حالة العالم المسيحي وموقفه حين ظهور الدولة العثمانية وانقسامه الى فريقين متعاديين كاثوليكي وارثوذكسي حتى مهّد انقسامهما الطريق للفتح العثماني — وبين حالة العالم الاسلامي اليوم ازاء الفتح الاوربي: فان الارثوذكس حين الفتح العثماني أبوا الاتحاد مع اخوانهم اللاتين احتفاظاً بمذهبهم ان يندغم في المذهب الكاثوليكي مع تمادي الايام . ولذلك فضلوا الخضوع للعثمانيين . وهكذا يقول فريق منا اليوم: اننا نخشى على قوميتنا ان تتلاشى اذا بقينا مع الاتراك ولا كذلك الحال اذا احسنا التفاهم مع غيرهم !

ومن أوجه الشبه بين الحالتين ان ملك القسطنطينية ذهب بنفسهِ في جيش (يلدريم بايزيد) لمقاتلة حاكم مدينة (الاشهر) مع ان هذا الحاكم من امراء ملك القسطنطينية لكنه لما أبى الخضوع لبايزيد اسرع الملك لتأديبهِ بنفسه

واننا ننصح لكل مولع بتاريخ الشرق والاسلام ان يقتني (فلسفة التاريخ العثماني) ويدرسه حق الدرس ويحتفظ بنقوله المعزوّة الى اربابها كأنفس الذخائر وأثمن الشواهد على مجد الاسلام وعظمة آل عثمان . فلا جرم اذن ان نغتفر للمؤلف عثراته اللغوية وان كان الصديق محرر الزمان الدمشقية ظن — وهو يقرظ الكتاب — اني لا اغتفرها له . بل اقول لعمري انهُ بالغفران حقيق . وبالثناء والاعجاب خليق .

المغربي

كتاب الشيخ جمعة وقصص أُخرى

تأليف السيد محمود تيمور

طبع في المطبعة السلفية بمصر وصفحاتـه مئتان

مؤلف هذا الكتاب هو نجل العلامة احمد تيمور باشا وقد رأى هـذا الفن (فن القصص والروايات) في اوروبا رائجاً ذا تأثير حسن في نشر الآداب وتربيـة الاخلاق فعمد الى الكتابة فيه فوضع اقصوصة بعنوان (الشيخ جمعة) ثم قفى عليهـا بأخواتها فبلغت (١٢) اقصوصة . وقد اصطلح على تسمية القصص القصار بالاقصوصة وقال انها هي التي تقابل بالافرنسية لفظة(conte) . اما القصة فهي الرواية القصصية ويقابلها بالافرنسية (Roman)، ولا يخفى ان المترجمين من كتاب بلادنا انما يعمدون الى هذه الروايات المكتوبة باللغات الافرنجية فينقلونها الى العربية وينشرونهـا بين ابنائنا وهي في موضوعات ومعان ليست مما ينطبق على أذواقنا . ولا مما يلتحم بعاداتنا واخلاقنا . وهذا ما جعل الفاضل (السيد محمود تيمور) يعدل عن الترجمة والنقـل الى الاختراع والوضع فكتب اقاصيصه المذكورة وأودعهـا أدباً وتنبيهاً وارشاداً فكانت في نقد احوالنا الاجتماعية خير مثال ينسج على منواله المنشئون القصصيون . وانا نحض عشاق المطالعة من ناشئة البلاد العربية على اقتناء تلك الاقاصيص ومطالعتها فانهم يجدون فيها لذة وفائدة في آن واحد

المغربي

كتاب يفعول

اسم رسالة لطيفة الحجم لا تزيد صفحاتها على ٣٧ صفحة ضمنها مؤلفها الامام الصغاني صاحب العباب نحواً من اربعين كلمة لغوية مما جاء على وزن (يفعول) وقد ظفر بنسخة منها السيد حسن حسني عبدالوهاب احد اعضاء مجمعنا العلمي في تونس فصححها وعلق عليها شروحاً وشواهد وطبعها في مطبعة العرب بتونس وقد ختمها بملحق ذكر فيه بضع عشرة كلمة على وزن (يفعول) ايضاً مما فات الصغاني ان يذكره في رسالته فنشكر للسيد حسن هديته ونلخص لقراء مجلتنا تلك الرسالة بعد تصنيفها على المواضيع (الانسان وصفاته) يأجوج . يكسوم (اسم حبشي وابو يكسوم هو ابرهة اوقيله)